

أهمية
الكلمة في حياة المسلم



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة في استنهاض وتأكيد الانتماء والسعي القومي العربي، في إطار المشروع الحضاري العربي المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافي والعلمي مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز إلى تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة في ما يصدر عن المركز تعبر عن آراء كتّيبها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز

على عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

4 ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

تليفاكس: 33448368 (00202)

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

د. السيد عبد الحكيم

أهمية

الكلمة في حياة المسلم



المؤلف

- د. السيد عبد الحكيم السيد عبد الله
- كاتب اسلامي، وزير مفوض بجامعة الدول العربية
- من مؤلفاته: سلسلة اسلاميات، تصدر تباعاً عن مركز الحضارة العربية وتتضمن ما يزيد عن ستة عشر كتاباً
- للتواصل مع المؤلف: ٠١٠٠١٦٦٢٥٢٥

الكتاب: أهمية الكلمة في حياة المسلم

المؤلف: د. السيد عبد الحكيم

الناشر: مركز الحضارة العربية

الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٢

الجمع والصف الإلكتروني: وحدة الحاسوب بالمركز

تصميم وجرافيك: معهد النهج في

011 111 83 503

رقم الإيداع: ٢٠١٢/١٣٩٢٠

التسجيل الدولي: 978-977-496-123-6

عبد الحكيم، السيد

أهمية الكلمة في حياة المسلم: السيد عبد

الحكيم. - ط١. - الجيزة: مركز الحضارة

العربية للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠١٢.

٨٠ ص؛ ٢١ سم

تدمك: ٦-١٢٣-٤٩٦-٩٧٧-٩٧٨

١- الوعد والإرشاد.

مُتَكَلِّمَاتَا

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، إلى يوم الدين.

وبعد،

فقد ميز الله ﷻ الإنسان عن الحيوان، بأمور كثيرة منها، اعتدال القوام، والعقل والجَنَان^(١)، والكلام للتخاطب مع غيره من بني الإنسان. وحديثنا في هذا المقام عن أهمية الكلمة ودورها في صلاح الأحوال، والرفعة إلى الدرجات العلا في خنة الرضوان أو التردّي في الدركات المهلكات في النار.

الإنسان أرقى من الحيوانات بفكره وعقله وكلامه، وهو الوحيد الذي يعبر عن سلوكه وأفكاره، بما يكتبه أو ينطق به، "ولا شك أن أساليب التفكير تختلف من فرد إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى ومن عصر إلى عصر، فطريقة تفكير الطفل الصغير لن تكون هي نفسها طريقة تفكير الرجل الناضج، وكذلك طريقة تفكير الإنسان البدائي تختلف عن طريقة تفكير الإنسان المتحضر، بل إن أساليب التفكير تختلف أيضاً من عصر إلى عصر، فمثلاً إذا كان الطابع الديني هو الغالب في عصر ما داخل المجتمع فإن أساليب التفكير الأخرى في نفس العصر

(١) الجَنَان بالفتح: القلب - مختار الصحاح ص ١١٤.

عادة ما يغلب عليها هذا الطابع الديني، وكذلك الحال بالنسبة للطابع العلمي في عصر آخر، حيث نجد أن تأثيره ينعكس بالضرورة على باقي أساليب التفكير عند غالبية أفراد هذا العصر"^(١).

فأسلوب الإنسان في الكلام ناتج عن طريقة تفكيره ومدى انتظامها ومنطقيتها، وحرصه على أن يتوافق كلامه مع أوامر الله ﷻ والرسول ﷺ، والاعتداء به كأن يكون كلامه بصوت واضح غير سريع حتى يسمعه ويفهمه المستمع، فأحياناً كان النبي ﷺ يعيد ما يقوله ثلاثاً حتى يتأكد من أن المستمعين استوعبوا تماماً ما يقوله، وبخاصة إذا كانت هذه الأوامر لها أهمية خاصة، للعمل بموجبها أو اجتناب أمور يجب تركها.

والإنسان اجتماعي بطبعه فهو يحب أن يعيش في جماعة؛ ليأمن بها ويتعاون معها في تحقيق وتيسير سبل المعيشة المختلفة، أما لو أعطيته جزيرة كاملة بأرضها ومبانيها وحدائقها، وتركته يعيش فيها منفرداً، فإنه سيشعر بأنه يعيش مسجوناً فيها، محروماً من الكلام والمؤانسة مع غيره من بني البشر، لا يستطيع أن يحقق كافة احتياجاته من مأكّل وملبس ومعيشة.

وإذا رجعنا إلى بعض العصور قبل الميلاد في اليونان فإننا نجد طائفة من اليونانيين عرفوا باسم "السوفسطائيون" (حوروا المعنى الحقيقي للكلمة، وغيروا من وظيفتهم الأصلية - وهي التعليم والخطابة - كي يمارسوا الألاعيب اللغوية والمغالطات المنطقية، التي تجعل من الحق باطلاً ومن الباطل حقاً، واستغلوا قدرتهم تلك في الدفاع عن المتهمين أمام المحاكم لتبرئتهم، رغم ثبوت التهمة عليهم، اعتماداً على تلك الألاعيب

(١) الفلسفة والمنطق - وزارة التربية والتعليم ص ١٥.

اللغوية، وهذه المغالطات المنطقية.

وقد انتشر السوفسطائيون في مختلف أرجاء بلاد اليونان يتاجرون في أسواقها ومحاكمها بمقدرتهم الفائقة على الجدل والمغالطة، ويعلمون الشباب من أبناء أثينا هذه المهارات مقابل أجور عالية، وقد أدى عملهم هذا إلى انتشار موجة عاتية من الشك العام بين أبناء اليونان، وكادت تنتاب البلاد حالة من الانهيار الفكري والديني والاجتماعي بسبب هذه الفئة المنحرفة من السوفسطائيين، خاصة أن المجتمع اليوناني كان يعيش قبل ظهورهم حياة فكرية واجتماعية راقية و متماسكة^(١).

أما في الإسلام، فالمسلم يقتدي بالرسول ﷺ الذي لا ينطق إلا حقاً، ولا يتكلم إلا صدقاً، وينهى أصحابه وكافة المسلمين عن الكذب، بل يؤكد أن الكذاب يخرج من حظيرة الإسلام والإيمان ومصيره النار، قال ﷺ: ^(٢)

"إن شرار الروايا روايا الكذب، ولا يصلح من الكذب جداً ولا هزلاً، ولا يعد الرجل ابنه ثم لا ينجز له، إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإنه يقال للصادق صدق وبر، ويقال للكاذب كذب وفجر، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ويكذب حتى يكتب عند الله كذاباً".

وكان من عوامل تصديق كثير من كفار قريش للرسول ﷺ أنهم قبل الرسالة لم يعهدوا فيه الكذب، ولذلك فإن الصادق في أقواله وفي أفعاله، ينبئ عن اتزان ومصداقية في تصرفاته، ويدعو إلى الثقة به وإمكانية الاعتماد عليه، لأن مظهره يتوافق مع باطنه، فلا تكون هناك

(١) الفلسفة والمنطق - وزارة التربية والتعليم ص ٣٥.

(٢) رواه الدارمي - كتاب الرقاق - باب في الكذب (٢٧١٥).

مفاجآت غير متوقعة عند التعامل معه.

وَيُعَلِّي اللَّهُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ، ويدعو إلى أن تكون هي وسيلة التخاطب والتعامل مع الناس في كلامهم وكتاباتهم، وشبهها بالشجرة الطيبة التي لها أصل ثابت في الأرض ليساعدها على النمو والازدهار وفروعها في السماء لتحمل الثمار والأزهار ويستفيد الناس منها.

أما الكلمة الخبيثة فهي كشجرة خبيثة انتزعت من جذورها فلم يعد لها حياة ولا فائدة للناس.

ويرشدنا الله سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ إلى الوسيلة التي تمكن الإنسان من القول الثابت الطيب في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهي حسن الإيمان بالله، لأنه مصدر كل خير، والصراف المستقيم الذي يهدي المؤمن إلى الفوز بالجنة إن شاء الله تعالى، وقد وردت هذه المعاني في قوله سُبْحَانَكَ:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٧﴾ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة إبراهيم / ٢٤-٢٧.

وتعجبني مقولة قالها فضيلة الشيخ عبد المهيمن الفقي (١) عن فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي إمام الدعاة قال: "إن الله سُبْحَانَكَ طَوَّعَ لَهُ الْكَلِمَةَ" وهذه ميزة ومنحة من الله سُبْحَانَكَ يعطيها لمن يحرص على طاعته وطاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويكثر من ذكر الله سُبْحَانَكَ.

فمن آداب الكلام، ألا يتوجه الشخص للغير بكثير من الأسئلة إلا في

(١) هو من كبار علماء الأزهر ومدير إدارة البحوث والنشر الأسبق بالأزهر الشريف.

مواضع تحتاج إلى ذلك.

فقد قال الإمام الشاطبي: الإكثار من الأسئلة مذموم وله مواضع نذكر منها عشرة:

أحدها: السؤال عما لا ينفع في الدين كسؤال بعضهم: من أبي؟.

ثانياً: أن يسأل ما يزيد عن الحاجة كسؤال الرجل عن الحج: أكل عام؟

ثالثاً: السؤال من غير احتياج إليه في الوقت ويدل عليه: "ذرني ما تركتكم".

رابعاً: أن يسأل عن صعاب المسائل وشرارها كما جاء في النهي عن الأغلوطات^(١).

خامساً: أن يسأل عن علة الحكم في التعبدات كالسؤال عن قضاء الصوم للحائض دون الصلاة.

سادساً: أن يبلغ السؤال حد التكلف والتعمق كسؤال بني إسرائيل عن البقرة وما هي وما لونها؟

سابعاً: أن يظهر من السؤال معارضة الكتاب والسنة بالرأي.

ثامناً: السؤال عن المتشابهات ومن ذلك سؤال مالك عن الاستواء فأجاب: الاستواء معلوم.. إلخ.

تاسعاً: السؤال عما حصل بين السلف وقد قال عمر بن عبد العزيز: تلك رواء كف الله عنها يدي، فلا أُلطخ بها لساني.

عاشراً: سؤال التعنت والإفحام وطلب الغلبة في الخصام، ففي الحديث:

(١) جمع كلمة غلط ومعناها: ما في منطقه غلط وأخطأ وجه الصواب (المصباح المنير جـ ٢ ص ٦١٧).

أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم. (١)

وكلمتي التي أوجهها إلى من أعرفهم ومن لا أعرفهم: أني أدعوهم فيها إلى قراءة هذا البحث بتمعن، وأن يكونوا من الذين قال الله عنهم: "قالوا سمعنا وأطعنا"، وأن يتذكروا النصائح التي وردت فيه قبل الكلام أو عند المجادلة مع الغير، وأن يدركوا تمامًا أن كل كلمة يتفوهون بها، هم محاسبون عليها، مجازون بالخير خيرًا، وبالشر سيئات وتنزيل دركات.

وندعو الله جميعًا أن يرينا الله الخير خيرًا، ويوفقنا لاتباعه، وأن يرينا الشر شرًا ويوفقنا لاجتنابه، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا ويزيدنا علمًا، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة سميع بصير مجيب.

د. السيد عبد الحكيم

رمضان ١٤٣١هـ

أغسطس ٢٠١٠ م

(١) صفوة التفاسير ج١ ص٢٧١ عن محاسن التأويل القاسمي ج٢ ص٢١٧ للإمام الشاطبي.

أفضل الكلام

أ - القرآن الكريم:

وأفضل الكلام، هو كلام رب العالمين، القرآن الكريم فتلاوته تزيد الحسنات، وترفع الدرجات، وتهيئ القارئ لتلقي النفحات من رب الأرض والسموات.

والفائز من حرص يومياً على قراءة قدر مناسب من القرآن الكريم، جزء من أجزائه الثلاثين، وإن زاد فقد زاد أجره، وعلا قدره في أعلى عليين.

قال ﷺ: (١)

"فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه".

قال ﷺ: (٢)

"من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف".
ويزداد الثواب وتزداد الفائدة، كلما توقفت عند عدم معرفة معنى كلمة أو آية وعرفت معناها، ويتحقق ذلك بيسر وسهولة لو كنت تقرأ في مصحف به تفسير مبسط للكلمات وللمعاني.

وقد اختص الله بعض أنبيائه ورسله بكلامه إياهم، ببشارتهم بالنبوة وتكليفهم بأداء الرسالة وتوجيههم لحسن أداء رسالتهم السامية.

(١) الجامع الصغير ص ٧٥

(٢) رواه الترمذي ج ٥ ص ١٧٥.

ويختلف كلام الله للبشر ويتنوع؛ فهو إما عن طريق الوحي في المنام أو الإلهام أو من وراء حجاب كما كلم موسى ﷺ والرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، أو يرسل رسولاً كما نزل جبريل بالوحي على الأنبياء وبخاصة القرآن الكريم الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ، وقد ورد ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴾ سورة الشورى.

وأشير إلى آيات قرآنية أنصح بتلاوتها يوميًا، ففيها ذكر لله وفيها دعاء وفيها تفويض لله وحسن التوكل عليه، ولها أهمية كبيرة لخيري الدنيا والآخرة:

آيات قرآنية.. لها فوائد لا غنى عنها:

هناك بعض الآيات القرآنية - لها فضل خاص - لو داوم الشخص على تلاوتها في أوقات فراغه، فسييسر الله له كثيرًا من أموره في العمل أو في الدراسة، أو في أحواله الأسرية والعائلية، ولا شك في نتيجتها، لأن الله - رب العالمين - هو الذي تكفل بالإجابة ووعده بالنتيجة في كتابه الكريم.

ومن ذلك ما ورد عن الإمام الحسن البصري رضي الله عنه من قوله:

- عجبت لمن ابتلي بالغم وغفل عن قول ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧)

- وعجبت لمن ابتلي بمكر الناس وغفل عن قول ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ، و ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (١٣)

- وعجبت لمن ابتلي بالضر وغفل عن قول ﴿ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ

اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١١﴾

وبالرجوع إلى الآيات السابقة، وإلى ما يسبقها أو يلحقها من الآيات نجدتها تنص على مايلي:

١- ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١١﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِتَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١٥﴾ سورة غافر.

٢- ﴿وَإِذَا التُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغْنِضًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ سورة الأنبياء.

٣- ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَسَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٣٢﴾ فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ لِمَن يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٦﴾ سورة آل عمران.

٤- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٣١﴾ سورة التوبة.

فقد ذكر الله ﷻ في الآية الأولى أنه من نتيجة الدعاء وقاية الداعي مكر الماكرين وأنه حاق بهم سوء أعمالهم.

والآية الثانية واضحة الدلالة على الاستجابة للدعاء وإذهاب الغم، وكذلك يستجيب الله للمؤمنين الذين يدعون الله أيضًا بهذا الدعاء.

والآية الثالثة روى عنها البخاري عن ابن عباس: "قالها إبراهيم

الخبيل ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس:
"إن الناس قد جمعوا لكم".

وقال علماؤنا: لما فوضوا أمورهم إليه، واعتمدوا بقلوبهم عليه،
أعطاهم من الجزاء أربعة معان: النعمة، والفضل، وصرف السوء،
واتباع الرضا، فرضاهم عنه ورضي عنهم "وما ذكره المفسرون لا
يحتاج إلى بيان.

والآية الرابعة تضمنت دعاءً جامعاً شاملاً إن تولى الناس عن
المساعدة والمعونة، فاللجوء إلى الله رب العرش العظيم، يُغني عن كل
المخلوقات.

ونجد في كتب التفسير أن المفسرين تنبهوا إلى بعض الآيات وما
أشارت إليه من فضل ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣) ﴿ سورة الأنفال.

فذكروا أن الرسول ﷺ أمان لقومه الذين يعيشون في حياته ﷺ
لوجوده بينهم، أما بعد وفاته فقد جعل الاستغفار أمان لهم ووقاية
من العذاب، والعذاب يشمل كل ما يشغل بال المستغفر سواء ما يتعلق
بالدراسة أو العمل أو نفسه أو أفراد أسرته.

- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤٥) ﴿ سورة الأنفال.

فالله ﷻ يدعونا في هذه الآية عند مواجهة العدو، أن نصمد ونثبت
مع الدعاء لله والذكر الكثير، لكي ننال الفلاح والنصر في مواجهة
أعدائنا، والعبارة التي وردت في هذه الآية لا تقتصر على مواجهة الأعداء
في الحرب، بل اللفظ يحتمل أية مواجهة وخلاف أيًا كان بين فئتين،

فالثبات وذكر الله مفتاح النجاح في كل مواجهة، وكل شيء.

ومن ذلك قول الرسول ﷺ: (١)

من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدلٌ (٢) عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك، حتى يمسي، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها ولو كانت مثل زبد البحر.

ففضلاً عن الحسنات التي تُكتب للذاكر والسيئات التي تمحى عنه، مما يمثل ادخاراً هائلاً وطيباً، ينفعه في آخرته، فإن ذلك يكون حرزاً له من الشيطان ووقاية له من كافة العلل البدنية والنفسية التي قد يسببها له، والتي تؤثر - بلا شك - على دراسته وعمله وحياته الأسرية.

فهذه الآيات القليلة لو حرص كل منا على تلاوة كل آية منها مائة مرة مثلاً في اليوم، لوجد لها نتائج باهرة وتحسناً ملموساً في كافة جوانب حياته فضلاً عن ثواب الآخرة، ويا حبذا لو تمت المحافظة على تلاوة سورة الواقعة ليلاً، أي من بعد صلاة المغرب إلى قبيل صلاة الفجر، فإنها كما قال الرسول ﷺ: (٣)

"من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة (فقر) أبداً".

فالآيات القرآنية السابق الإشارة إليها، لها نفع كبير، وتحقق فوائد كثيرة، لمن يتلوها ويكررها، فضلاً عن ثواب القراءة لكل حرف من

(١) صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (٢٠٥٠).

(٢) أي: ما يساوي.

(٣) الجامع الصغير ص ١٧٨.

حروفها، وتزيد الفائدة، عندما يجعل المرء لنفسه وقتاً للصلاة على النبي ﷺ وللتسبيح، وللاستغفار بصيغة سيد الاستغفار التي وردت في الحديث الشريف: (١)

عن أبي بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: من قال حين يصبح أو حين يمسي: "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء بنعمتك وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فمات من يومه أو من ليلته دخل الجنة".

ب - الأحاديث القدسية:

وهي ما نقل إلينا عن الرسول ﷺ، مع إسنادها لها عن ربه، فهي إخبار الله معناه بالإلهام أو المنام، فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أمته بعبارة نفسه (٢): ومن هذه الأحاديث القدسية:

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (٣)

(إن لله تبارك وتعالى ملائكة، سيارة فُضلاً، يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلس فيه ذكر، قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنتهم، حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا انصرفوا عَرَجُوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله ﷻ وهو

(١) رواه أبو داود - كتاب الأدب - باب ما يقوله إذا أصبح (٤٤٠٨)، ورواه البخاري -

كتاب الدعوات - باب ما يقوله إذا أصبح (٥٨٤٨) واللفظ لأبي داود.

(٢) الأحاديث القدسية - مكتبة الدعوة الإسلامية ص ٦ وما بعدها.

(٣) الأحاديث القدسية ج ١ ص ١٩، ورواه مسلم كتاب فضل الذكر باب فضل مجالس

الذكر ج ١٠ من هامش القسطلاني.

أعلم بهم: من أين جنتم؟ فيقولون: جننا من عند عبادك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك، ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وما يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب، قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجبرونك، قال: ومم يستجبروني؟ قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قال: يقولون: رب فيهم فلان، عبد خطاء، إنما مر فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم، لا يشقى بهم جليسهم).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (١)

(إن الله تعالى يقول: يا بن آدم، تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك).
- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

(يقول الرب ﷻ من شغله القرآن، وذكرني عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) (٢).

فالأحاديث القدسية معانيها من عند الله تعالى وعباراتها من كلام الرسول ﷺ وعددها قليل إذا قورنت بالأحاديث النبوية، فيحسن لكل منا أن يحصل على إحدى الكتب التي تجمع الأحاديث القدسية ليقرأها ويعمل بما تضمنته ويزداد علماً بها ليستفيد منها في حياته الدنيا والآخرة.

(١) الأحاديث القدسية جـ ١ صـ ٢٥، أخرجه الترمذي في جامعه بسنده.

(٢) الأحاديث القدسية جـ ٢ صـ ١٣٢، أخرجه الترمذي قبل أبواب تفسير القرآن جـ ٢

لا إله إلا الله

- عن طلحة بن عبيد الله؛ أن الرسول ﷺ قال: (١)
"أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون
من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له".
"من كان آخر كلامه لا إله إلا الله موثقاً بها دخل الجنة".

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (٢)
"الإيمان بضع وستون أو سبعون باباً أدناها إمطة الأذى عن
الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله والحياء شعبة من الإيمان".
- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (٣)

"بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان".
- عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: (٤)

"من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال أبو الدرداء: وإن
زنا وإن سرق فقال النبي ﷺ: وإن زنا وإن سرق على رغم أنف

(١) موطأ مالك كتاب القرآن - باب ما جاء في الدعاء ج١ ص٢١٥، كتاب الحج - باب
جامع الحج ج١ ص٤٢٢ - ورواه الترمذي كتاب الدعوات ٢٥٨٥ - وفتح الباري
شرح صحيح البخاري (كتاب الدعوات).

(٢) ابن ماجه - المقدمة - باب في الإيمان (٥٧) ج١ ص٢٢.

(٣) رواه البخاري كتاب الإيمان (٨).

(٤) فتح الباري - شرح صحيح البخاري - كتاب الرقاق (٦٠٧٩)، رواه أحمد من مسند
القبائل - باب من حديث أبي الدرداء (٢٦٢١٩).

أبسي الدرء".

فهذه كلمات أربع فقط، تقال في ثوان، لكن ثوابها عظيم، يجب أن نحرص على أن نقتطع جزءاً من أوقاتنا في ترديدها ويا حبذا لو كان ذلك باللسان مع تدبر معناها وفضلها، وقد قيل في معناها: "لا معبود بحق إلا الله" وكلما زاد الذكر زاد الثواب والجزاء، ويزداد الامتثال لأوامر الله ﷻ في القرآن الكريم الذي كانت أوامره كلما أمر بذكر الله يكون الأمر بالذكر الكثير ومن ذلك قوله تعالى:

﴿يَتَذَكَّرُ الْبَشَرُ مَا نَزَّلُوا آذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿١١﴾﴾

وكثير من الصالحين يحرصون على طاعة الله ورسوله، ويكثرون من ذكر الله بقول "لا إله إلا الله" (١) ويتبارون بترديدها مائة ألف مرة، خلال اليوم أو خلال شهر أو ما يزيد على ذلك أو ينقص، كل حسب طاقته وقدرته وما يتيسر له من وقت، وبخاصة أنها كلمة التوحيد وهي كلمة التقوى حسبما ورد عن بعض المفسرين أن هذا قول الجمهور من الفقهاء في قوله تعالى:

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ سورة
الفتح.

(١) مع أن بعض المتدينين يعرفون حديث الرسول ﷺ ولكنهم في التطبيق العملي يحرصون على الصلاة وسننها، وعلى أذكار الصباح والمساء ويعتبرون أن هذا يكفي، مع أن معنى الكثرة أن يكون المسلم على ذكر الله في كافة أوقات فراغه، مثلاً عند انتظار وسيلة مواصلات أو ركوبها، والسير في الطريق، أي أن كافة الأوقات خارج العمل والأكل والنوم فهي صالحة لذكر الله بكافة أنواعه كقراءة القرآن، والصلاة على النبي ﷺ، والاستغفار، والتسبيح وبخاصة الدعاء والأذكار التي وردت عن الرسول ﷺ.

كلمات الرسول ﷺ

أوتي الرسول ﷺ الحكمة والبلاغة وجوامع الكلم، بما آتاه الله ﷻ من صفات طيبة، سمى بها على جميع البشر، ولكنه عندما رأى حرص الصحابة على تلقي كل ما يتفوه به، وكتابته للانتفاع به وإبلاغ الغير به، نهاهم في البداية أن يكتبوا كلامه، خوفاً من أن يختلط بالقرآن، ولكنه بعد أن حُفظ القرآن في الصدور أباح لهم ذلك.

"فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه فذهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق" (١).

فالأحاديث النبوية الشريفة الواردة في الكتب الصحاح فيها من الدرر المنثورة والحكم النبوية المفيدة، في كافة المجالات، ومن يلتزم بها تحقق له الفائدة والخير في حياته الدنيا والآخرة.

فالكلام كثير، نسمعه من الغير أو من المذيع أو التلفاز، وما نسمعه يدخل في آذاننا ويؤثر في نفوسنا وعقولنا، فلنحرص على سماع ما يفيد وما يؤثر تأثيراً طيباً، وأن نعرض عن سماع ما يدعو إلى الرذيلة أو الشرثرة التي لا تفيد في شيء، وأكثر أو أشد ما تؤدي إليه هو تضييع الوقت فيما لا يُجدي ولا ينفع.

(١) مسند أحمد - ومسند المكثرين من الصحابة باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص

رضي الله عنه (٦٢٢١).

ويا حبذا لو اقتنينا كتابًا من كتب الأحاديث الصحيحة، وقرأنا كل يوم حديثًا واحدًا على الأقل ونعمل بما جاء فيه، لنستفيد مما ورد به من نصائح وأوامر، أو نبدأ بكتاب مثل "رياض الصالحين" للإمام النووي، ففيه موضوعات مفيدة، مؤيدة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ولنستجب لأوامر الرسول ﷺ، لأن فيها الخير كل الخير لمن يستجيب لها في الدنيا وفي الآخرة.

فيجب علينا أن نتعرف على أوامره القولية والفعلية والإقرارية وننفذها ونحرص عليها ونعلمها لمن حولنا؛ ليستفيدوا ويثابوا ونثاب نحن معهم أيضًا، في الدنيا والآخرة، إن شاء الله تعالى.

ويلاحظ أنه إذا تطلع الإنسان إلى العظماء السابقين أو إلى الأدباء الذين يشار إليهم بالبنان، واطلع على كتاباتهم أو خطبهم التي تم إلقاؤها على الناس طوال حياتهم، واحتوتها كتب متعددة، فإنها لا تقارن في أهميتها أو بمحتوياتها بما تم جمعه من أحاديث الرسول ﷺ القولية والفعلية والتي شملت كافة جوانب الحياة وتضمنت نصائح قيمة تساعد الإنسان على الفلاح في الدنيا والآخرة.

بل لو طلبت من إنسان أن يتم تسجيل كلماته كلها وأقواله وأفعاله، فإنه لن يقبل ذلك لأسباب عديدة؛ لأنه قد يخطئ أحيانًا ويقول كلامًا لا يحب أن يسمعه الغير، أو يغضب فيتمادى في غضبه ويهدد ويتوعد بما يتجاوز قدرته مما قد يصيبه بكثير من المتاعب لو وصلت هذه التهديدات إلى خصم أو عدو قوي..... وقد يخطئ كثيرًا فيما يبديه من رأي، أو لا يحب أن ينشر عنه كلام معين أو وجهة نظر معينة تخالف الصورة التي يحب أن يراه الناس عليها، وتتعدد الأسباب، ولكننا نرى الرسول ﷺ - بعد أن منعهم في بداية الوحي أن يكتبوا ما يقوله حتى

لا يختلط بالقرآن - قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه بعد ذلك: (١)

"اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق"، وقد ورد عن عبد الله بن عمر قال: يا رسول الله، أأكتب ما أسمع منك من الحديث؟ قال: "نعم فاكتب فإن الله علم بالقلم" (٢).

كلام الواثق من نفسه، المتأكد من أن الله تعالى علمه فأحسن تعليمه، وأدبه فأحسن تأديبه، ما ينطق عن الهوى في حله وفي ترحاله، في هدوئه وفي غضبه، في كل أحواله، وصدقت السيدة عائشة عندما قالت "كان خلقه القرآن" ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، الذي جعله الله هدى للعالمين إلى يوم الدين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال (٣):

"ما أمرتكم به فخذوه وما نهيتكم عنه فانتهوا".

وقال ﷺ: (٤) (ليبلغ الشاهد منكم الغائب).

وعن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(بلغوا عني ولا تكذبوا فرب مبلغ أوعى من سامع، ورب

حامل فقه إلى من هو أفقه منه) (٥)

(١) مسند أحمد (٦٢٢١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي ج ٢٠ ص ١٢٠.

(٣) رواه ابن ماجه - المقدمة باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (١).

(٤) حديث صحيح، صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني ص ٩٤٥ حديث رقم (٥٣٥٢).

(٥) حديث صحيح، أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب فضل نشر العلم (٣٦٦٠) ج ٢ ص ٣٢٢

- والترمذي في كتاب العلم (٢٦٥٦) ج ٥ ص ٤٢، ٤٤، والدارمي (٢٢٨) ج ١ ص ٨٦.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (١)

"تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة".

من هذين الحديثين، نستخلص أننا يجب أن نحرص على أن يكون كلامنا مع الغير بهدوء دون انفعال وبوجه باش مبتسم، حتى لو كان هناك خلاف في الرأي، لأنه كما يقال "الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية".

ولا أنسى عندما كنت حاضراً في إحدى الندوات بجامعة القاهرة، وعندما حان وقت صلاة المغرب، ذهب معظم الحاضرين إلى مسجد الجامعة، وبعد الصلاة وجدت بعض المشايخ الأجلاء ينصرفون بعد الصلاة دون ختام للصلاة أو صلاة الناقل، فتوجهت بالسؤال لفضيلة الشيخ المرحوم عبد المهيمن الفقي الذي قال لي:

"من سنن الله في الكون، أنك إذا افتتنت بعالم ما، واعتقدت فيه الكمال واستولى حبه على قلبك، أن الله يريك فيه نقصاً ما، أو تقصيراً في جانب من الجوانب، حتى تعرف وتوقن أن الكمال لله ﷻ أما المخلوقين فإنهم يصيبون ويخطئون ويتوبون ويستغفرون الله ﷻ وما قد رأيت لا ينقص من قدرهم لأنهم بشر، وقد يكون لهم عذر فيما رأيت خطأ، وقد يتداركون ما رأيت نقصاً فيما بعد".

ما سبق يدعونا إلى حسن الظن بالغير والتماس العذر لهم، والعفو عما قد يكون قد بدر منهم، وتذكر ما سبق أن فعلوه من

(١) رواه الترمذي - أبواب البر والصلة وما جاء في صنائع المعروف (٢٠٢٢).

أجلنا أو للغير من أعمال طيبة، فإن الحسنات تذهبن السيئات، كما أخبرنا بذلك رب العالمين، ونتكلم معهم بمحبة وود، لتزداد أواصر الصداقة والمحبة معهم.

وتتذكر قول الصحابي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: "إنه إذا كان بيني وبين إنسان شعرة ما انقطعت لأنهم إذا شدوها أرختها وإذا أرخوها شدتها".

وتتذكر قول الله تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (سورة الفرقان .

أي يقول العاقل للجاهل كلامًا يدفعه به برفق ولين، فهكذا كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع كل من يسيء إليه في القول، وكان يمنع الصحابة من التعرض لهم أو الإساءة إليهم، وكان هذا التصرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يؤثر في المسيء، ويعتذر عما بدر منه وينصرف راضيًا.

كلمات الصحابة والأولياء والصالحين

يقول الرسول ﷺ: (١)

"خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...."

فالصحابه رضي الله عنهم أفضل البشر بعد سيدنا محمد ﷺ، واجتهاداتهم وأقوالهم يجب أن تكون محل التقدير والاحترام، لأنهم عاشروا الرسول ﷺ وعاشوه، ونهلوا من أنواره وحكمته، لذلك فمن المبادئ المسلم بها في أصول الفقه أن أقوال الصحابة تأتي في المرتبة التالية للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ويقول الرسول ﷺ: (٢)

"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة"

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال (٣):

"أمتي كالمطر لا يدري الخير في أوله أم في آخره"

فلا يخلو زمن من الزمان من رجال صالحين من أولياء الله، وعلماء ربانيين، يلتزمون بأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية ويفهمون أوامر الشرع ونواهيه حق الفهم ويجب علينا أن نستشيرهم في أمور ديننا وأخرانا وأن نسأل أهل الذكر حتى نعلم الحق والصواب لقوله

(١) رواه البخاري - كتاب الشهادات (٢٦٥٢)، ومسلم فضائل الصحابة (٢٥٢٣)،

والترمذي في المناقب (٢٨٥٩)، وابن ماجه كتاب الأحكام (٢٣٦٢).

(٢) رواه السيوطي الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة.

(٣) رواه أحمد في المستند.

تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَاءُ أَهْلَ الذِّكْرِ
إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٣) ﴿ (١) سورة النحل.

ويا حبذا لو قرأنا سيرة صحابة رسول الله ﷺ وبخاصة العشرة
المبشرين بالجنة، فسنجد القدوة الطيبة في أفعالهم وفي أقوالهم، لأنه
اقتبسوها من مشكاة النبوة.

(١) سورة النحل / ٤٢، وسورة الأنبياء / ٧

كلمات الوالدين

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدعو إلى طاعة الوالدين وتنفيذ ما يطلبونه، وسياق هذه النصوص تؤكد على ذلك وتقرنها بعبادة الله ﷻ، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ ﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ٢٤ ﴾ سورة الإسراء.

فهذه الآيات تتضمن أوامر عديدة للأبناء وحقوقاً عديدة للوالدين نشير إليها بإيجاز فيما يلي:

١- الأمر بالإحسان إلى الوالدين، والإحسان درجة متميزة في المعاملة تزيد على العدل والمساواة، فلا يكفي معاملة الوالدين بمثل معاملتهم لنا، ولكن يجب أن تكون معاملتهما بأقصى درجات الاحترام والتقدير.

٢- الأمر بمخاطبة الوالدين بالأدب والوقار مع خفض الصوت، وعدم توجيه اللوم لهما أو الاعتراض عليهما، حتى مجرد التأفف عما يصدر عنهما من قول أو فعل منهي عنه من الله ﷻ.

٣- أن مخاصمتها أو تجاهلها بحجة عدم إعطاء الفرصة للاعتراض على تصرفاتها تصرف غير صحيح أيضاً، لأن الأمر الإلهي بالكلام معهما ومخاطبتهما ومناجاتهما وتسليتهما بالقول الكريم، وهو وصف أقل ما يقال فيه، إنه القول الحسن الذي يسرهما، ويحقق

لهما ما يريدانه من بهجة وراحة واطمئنان.

٤- الدعاء للوالدين بالرحمة ويشمل ذلك الدعاء بالصحة وطول العمر والراحة والرضا وذلك ليس تفضلاً من الداعي لوالديه، ولكن لرد الجميل لهما على حسن تربيته والسهر على رعايته وكفالته منذ كان صغيراً إلى أن أصبح كبيراً يعتمد على نفسه في المأكل والمشرب وفي مختلف شؤون الحياة.

الكلمات التي تاب بها الله على آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ

الكلمات التي تاب بها الله على آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حسبما جاء في تفسير القرطبي: اختلف أهل التأويل فيها، ووردت عدة اجتهادات نشير إليها فيما يلي: (١)

- قال ابن عباس والحسن وسعيد بن الجبير والضحاك ومجاهد: هي ما ورد في قوله تعالى:

﴿... رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣٣) سورة الأعراف.

- وعن مجاهد أيضاً: سبحانك الله لا إله إلا أنت ربي ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم.

- وقالت طائفة: رأى مكتوباً على ساق العرش "محمد رسول الله" فتشفع بذلك، فهي الكلمات.

- وقالت طائفة: المراد بالكلمات البكاء والحياء والدعاء، وقيل: الندم والاستغفار والحزن.

- وسئل بعض السلف عما ينبغي أن يقوله المذنب؛ يقول ما قاله أبواه:

"ربنا ظلمنا أنفسنا" الآية؛ وقال موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرْتَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦) سورة القصص؛

وقال يونس: ﴿... أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) سورة الأنبياء.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢٧٦.

فهذه اجتهادات الصحابة والسلف الصالح فيما جاء بالقرآن الكريم
عن كلمات الله التي تلقاها آدم ﷺ فتاب عليه وذلك في قوله تعالى:

﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة

البقرة).

فإن استطعنا أن نقولها أو بعضها في يومنا، نكون قد فعلنا خيراً
كثيراً وقلنا كلمات مباركات، لعل الله أن يتوب بها علينا ويغفر لنا
ذنوبنا ونستقبل يومنا مع التواب الرحيم، وقد غفرت ذنوبنا، وارتفعت
درجاتنا وازدادت حسناتنا بفضلته ورحمته، ﷻ.

الكلمة الطيبة والعمل الصالح صدقة

وهما يرفعان قدر صاحبهما كلما صلحتا، وتوافقتا مع أوامر الله ﷻ ورسوله الكريم ﷺ، فالكلمة الطيبة تحتاج أن تقترن بالعمل الصالح، حتى تتوافق الكلمة مع العمل مما يؤكدها ويجعلها صادقة وتعبر تعبيراً صحيحاً عن نية صاحبها، وتصبح الكلمة ليست مجرد حروف وأصوات تخرج من فمه إنما تتحول إلى واقع عمل وتأثير فعلي يشاهده الغير، قال تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ سورة فاطر.

وقال ابن المقفع^(١): قول بلا عمل، كثريد بلا دسم، وسحاب بلا مطر، وقوس بلا وتر، وفيه قيل:

لا يكون المقال إلا بفعل كل قول بلا فعل هباء

قال سفيان: الإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص،... إلى أن قال يا شعيب لا ينفعك ما كتبت حتى ترى المسح على الخفين وحتى ترى أن إخفاء بسم الله الرحمن الرحيم أفضل من الجهر بها....^(٢).
وقد وردت أحاديث نبوية عديدة عن الرسول ﷺ تؤكد وجوب الحرص على الكلمة الطيبة منها قوله ﷺ:

(... والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ودل الطريق صدقة)^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٣٢٩.

(٢) تحفة الأحوني بشرح جامع الترمذي - باب ما جاء في ترك الجهر بسم الله الرحمن الرحيم.

(٣) رواه البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر.

(٢٧٣٤).

روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (١):

"الكلمة الطيبة صدقة".

كما روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم:

"تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها صدقة، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، قال: " والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة" (٢).

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (٣)

"لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة، والكلمة الطيبة".

ويحذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من كثرة الكلام فيما لا يعنينا، في قوله: (٤)

"أكثر الناس ذنوبًا يوم القيامة أكثرهم كلامًا فيما لا يعنيه".

(١) رواه البخاري باب طيب الكلام (٥٦٧٦).

(٢) رواه البخاري باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٩).

(٣) رواه البخاري باب الطيرة والفأل (٢٢٢٤).

(٤) الجامع الصغير ص٥٢.

الصدق في الكلام

الأصدق حديثاً هو الله تعالى، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿٨٧﴾ سورة النساء.

والمتحلي بالصدق في كلامه وأفعاله، يتشبهه بصفة من صفات الله ﷻ
ويتقرب إليه بطاعته، والافتداء بالرسول ﷺ وبصاحبه أبي بكر الصديق
الذي سمي صديقاً وهو المبالغ في الصدق والتصديق وهو الذي يحقق بفعله
ما يقوله بلسانه، أي استوت ظواهرهم مع بواطنهم.

لذلك كان يُلقب الرسول ﷺ - حتى قبل الرسالة - بالصادق
الأمين، مما سهل مهمته وقوى حجته أمام عشيرته عندما أمره الله ﷻ
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ سورة الشعراء، فجمع أهله وسألهم
عن مدى تصديقهم له إذا أخبرهم بأمر من الأمور، فأجابوا: ما جربنا
عليك إلا صدقاً، فقال لهم:

"فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" وصدق الله ﷻ إذ قال:

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ
يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ سورة النجم.

وتعددت الآيات القرآنية التي تؤكد ثواب الصادقين وحسن الجزاء
لهم في الآخرة وأنهم ينالون رضا الله ﷻ ومن ذلك:

- ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦١﴾
سورة النساء.

- ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿١١٩﴾ سورة المائدة .
والصدق سمة النبيين والصالحين، فمن الأحرى التخلق بأخلاقهم
والتأسي بهم، قال تعالى:

- ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِيًّا ﴾ ﴿٤١﴾ سورة مريم .
- ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ ﴿٨٤﴾ سورة
مريم .

- ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِيًّا ﴾ ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴿٥٧﴾
سورة مريم .

- ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ ﴿٢٢﴾ سورة الأحزاب .

- ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ
وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِعِينَ وَالصَّامِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ اللَّهُ كَثِيرٌ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ
اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٢٥﴾ سورة الأحزاب .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا
حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم،
وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم" ^(١).

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٢٥٩/٤) وقال هذا حديث صحيح الإسناد، وأخرجه أحمد

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"^(١).

ومن ثمرات الصدق في الدنيا أن الصادقين يحبهم الناس ويثقون بهم ويأتمنونهم في سائر معاملاتهم.

والعاقل هو الذي يحرص على أن تكون كل كلمة تخرج من فمه، حقاً وصدقاً، اقتداءً بالرسول ﷺ الذي كان يمزح مع أصحابه، ولكنه لا يقول إلا حقاً، ولذلك فهو يحذر المسلم من أن يلقي الكلمات إساءة للغير أو استهانة بهم أو الخطأ في الذات الإلهية وهو لا يدري عاقبة فعلته هذه، يقول ﷺ:^(٢)

"إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله. ما يظن أن تبلغ ما بلغت. فيكتب الله ﷻ له رضوانه إلى يوم القيامة. وأن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله. ما يظن أن تبلغ ما بلغت. فيكتب الله ﷻ عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه".

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال رسول الله ﷺ:

- (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يرى بها بأساً، فيهوي بها في نار جهنم سبعين خريفاً)^(٣).

(١) رواه البخاري واللفظ له - الفتح ١٠ (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) رواه ابن ماجه كتاب الفتن - باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٦٩) ج ٢ ص ١٣١٣.

(٣) المرجع السابق ٣٩٧٠.

- (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت)^(١).

وعن سفیان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ﷺ حدثني بأمر أعتصم به: قال: (قل ربي الله ثم استقم) قلت: يا رسول الله! ما أكثر ما تخاف علي؟ فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه، ثم قال: (هذا)^(٢).

وفي رواية أخرى: قال ﷺ لمعاذ: ^(٣) (ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى. قال: الجهاد) ثم قال (ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى. فأخذ بلسانه فقال: (تكف عليك هذا) قلت: يا نبي الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: (تكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخيرهم في جهنم، إلا حصائد ألسنتهم).

وفي رواية عن البخاري:

(وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)^(٤)

(١) المرجع السابق ٣٩٧١.

(٢) المرجع السابق ٣٩٧٢، ٣٩٧٣ وأخرجه أحمد والترمذي والنسائي.

(٣) مسند أحمد - كتاب مسند الأنصار رضي الله عنه - باب حديث معاذ بن جبل - حديث (٢١٠٥١).

(٤) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه - فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

الحث على أداء الشهادة والنهي عن قول الزور

أ - الحث على أداء الشهادة:

وردت آيات كثيرة تؤكد على حسن أداء الشهادة، والاستجابة للشهادة بالحق لمن طلبت منه، ولا يتأخر عنها، إعراضاً، أو تكاسلاً، أو خشيةً من الطرف الآخر الذي قد تكون الشهادة ضده، فالله عالم الغيب والشهادة، وهو على كل شيء شهيد، وهو يأمر بالشهادة على عقود البيع لتأكيدهما والتحقق منها إذا حدث تنازع بين الطرفين، وبخاصة في الزواج والطلاق لأهميتهما الفائقة وتأثيرهما على العلاقات الأسرية وأفرادها.

فالشهادة كلمة حق تقال لإعطاء كل ذي حق حقه، ومنع الغاصب من الاستيلاء على غير حقه، فهي تكرس العدل وتحارب الظلم، لذلك فلها شأنها الكبير وثوابها الجزيل من الله ﷻ، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١١٠) سورة البقرة .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْمَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَوِيعًا أَوْ لَا يَسْتَفِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَإِيَّاهُ بِالْمَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ

لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَاتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ
 إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا
 تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَمْسِطَ عِنْدَ اللَّهِ
 وَأَقَوْمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَذَىٰ آلَا تَرَابًا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا
 بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ...
 وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴿سورة البقرة / ٢٨٢﴾

- ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ سورة
 البقرة / ٢٨٢ .

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ سورة
 النساء / ١٣٥ .

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ سورة
 المائدة / ٨ .

- ﴿وَلَا تَكْتُمُوا شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ سورة المائدة .

- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ سورة الحج .

- ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ سورة الطلاق / ٢ .

وهذه الآيات القرآنية نجد فيها أوامر عديدة بما يلي:

١- الحث على أداء الشهادة، لأنها تؤكد الحق وتعطيه لصاحبه، والحرص
 على تلبية الدعوة لأداء الشهادة وعدم النكول عنها أو التعلل بأية
 أسباب غير حقيقية للتهرب من أدائها خوفاً من مغتصب الحق أو
 لتحقيق منافع مادية أو معنوية على حساب صاحب الحق، وقد
 وصف الله ﷻ كاتم الشهادة بالظلم، وأنه مطلع على أعمال العباد

وأفعالهم وسيجازيهم عنها.

٢- النهي عن كتمان الشهادة، وهو نهى على الوجوب بعدة قرائن منها الوعيد، وموضع النهي هو حيث يخاف الشاهد ضياع الحق، وقال ابن عباس: على الشاهد أن يشهد حيث ما استشهد، ويخبر حيث ما استخبر.

وقد خص القلب بتحملة الإثم، إذ الكتم من أفعاله، وهو المضغعة التي بصلاحها يصلح الجسم كله^(١)، كما قال الشيخ؛ فعبر بالبعض عن الجملة:

"إن في الجسد لمضغعة إذا صلحت صلح الجسد، وإن فسدت فسد الجسد كله"^(٢)

وقال الفخر الرازي:^(٣) (وقوله تعالى "أثم قلبه" مجاز، وهو أكد من الحقيقة في الدلالة على الوعيد، وهو من بديع البيان ولطيف الإعراب عن المعاني. يقال: أثم القلب سبب مسخه، والله تعالى إذا مسخ قلباً جعله منافقاً وطبع عليه، نعوذ بالله منه).

٣- على المتعاقدين الحرص على الإشهاد، حتى تكون هناك وسيلة للإثبات في حالة إنكار الذي عليه الحق، وحتى لا يشجع عدم وجود الشهود، إلى أن يقوم المدين بالإنكار.

ب- النهي عن قول الزور:

معنى كلمة الزور لغويًا هو: الكذب^(٤)، وقيل أيضًا^(٥): الباطل وشهادة الباطل، أي أن قول الزور أعم وأشمل من الكذب، لأنه غالبًا

(١) بتصريف من التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢ ص٤١٥.

(٢) بتصريف من التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢ ص٤١٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المصباح المنير ج١ ص٣٥٤.

(٥) المعجم الوجيز ص٢٩٦.

يؤدي إلى ضياع الحقوق، وقد ورد النهي عن قول الزور مقترناً بالنهي عن عبادة الأوثان في قوله تعالى:

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (٣٠)

سورة الحج.

فارتباط اجتناب عبادة الأوثان التي هي شرك بالله تعالى وهي من الكبائر مقترن أيضاً باجتناب قول الزور، فيه تشديد كبير لهذين الفعلين.

أما قوله تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٧٢) سورة الفرقان، فهي تأكيد بأن عباد الرحمن لا يشهدون الزور لأنه حرام، ويبعدهم عن موجبات رحمة الله ﷻ.

وقد نهى الرسول ﷺ عن قول الزور، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (١) "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه".

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه قال النبي ﷺ: (٢)

"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر" ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئاً فقال: "ألا وقول الزور" قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت".

ونود أن نشير في نهاية هذا المبحث إلى رجل من صحابة الرسول ﷺ، سارع إلى الشهادة عندما طلبت منه، وسارع إلى تأييد الرسول في دعواه، وهو خزيمة بن ثابت الصحابي الجليل وهو أنصاري من

(١) رواه أبو داود - كتاب الصيام - باب الغيبة للصائم.

(٢) رواه البخاري - كتاب الشهادات باب ما قيل في شهادة الزور (٢٥١١).

الأوس، من السابقين الأولين الذين شهدوا بدرًا وما بعدها، وفي رواية أن الرسول ﷺ قال في حقه:

"من شهد له خزيمة فحسبه" لهذا يقال له خزيمة ذو الشهادتين، أي أن شهادته بشهادة رجلين، ويشاء الله ﷻ عند جمع القرآن أن الصحابة كانوا يشترطون أن يشهد صحابييان بما يثبتونه في القرآن الكريم وعندما وصلوا إلى آخر سورة براءة فلم يجدوها إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ولم يجدوها مع غيره هي: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم... حتى خاتمة براءة، فاعتمدها تنفيذاً لوصية الرسول ﷺ" من شهد له خزيمة فحسبه" (١).

(١) بتصرف من حياة الصحابة رضي الله عنهم - محمد يوسف الكاندهلوى ج١ ص ٣٦٣، ج٢

خطبة يوم الجمعة

صلاة الجمعة وخطبتها لهما أهمية كبيرة ومكانة عظيمة، تدعو المسلم إلى الحرص على حسن الاستماع للخطبة وللکلمات المفیدات من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتعاليم الدينية، وأداء صلاة الجمعة باعتبارها فريضة إسلامية، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ سورة الجمعة.

وعلى خطيب الجمعة أن يبدأ في بداية حديثه بتعريف المصلين بالموضوع الذي سيتناوله في خطبته، ويذكرني ذلك بالدكتور الحسيني أبو فرحة^(١) "رحمه الله" الذي كان حريصاً - بعد مقدمة الخطبة - أن يقول "حديثي إليكم اليوم عن...." ويبدأ في تناول الموضوع بتسلسل منطقي، مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وآراء العلماء الربانيين الذين نور الله بصيرتهم للفتوى في أمور الدين دون إفراط أو تفريط.

والحرص على صلاة الجمعة وخطبتها، تتمثل أهميتها في أمور عديدة منها:

- أن الله ﷻ خاطب المؤمنين - دون الكافرين - تشریفاً لهم وتكريماً فقال ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ سورة الجمعة/٩.

- أكدت الأحاديث النبوية على أهمية وفضل صلاة الجمعة وخطبتها

(١) من علماء الأزهر ورئيس قسم الحديث النبوي الأسبق بجامعة الأزهر الشريف.

ومن ذلك:

- روى أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه بصلاة الجمعة يوم الجمعة إلا مريض أو مسافر أو امرأة أو صبي أو مملوك فمن استغنى بلهو أو تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد" أخرجه الدارقطني.

- "لينتهين أقوام عن ودعهم الجُمُعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين" ^(١).

- "من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه" رواه ابن ماجة ^(٢).

"الجمعة واجبة على كل محتلم وعلى من راح إلى الجمعة الغسل" ^(٣).

"رواح الجمعة واجب على كل محتلم" ^(٤).

وعلى الخطيب أن يوجز كلماته بأسلوب مبسط يفهمه الجميع، وعلى المصلين حسن الاستماع وعدم الانشغال عنه بكلام أو حركات تجعله أو غيره ينشغل عن الخطبة.

كما يستحب على الخطيب أن يبين للمصلين في نهاية الخطبة بإيجاز هدفه من اختيار هذا الموضوع، وما يجب على كل منهم أن يفعله للاستفادة من هذه الخطبة، فمثلاً إذا تكلم عن الصفات الطيبة

(١) صحيح مسلم كتاب الجمع باب التغليظ في ترك الجمعة (٢٠٣٩).

(٢) رواه أبو داود كتاب الصلاة - باب ١٣ التشديد في ترك الجمعة (١٠٥٢).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري - كتاب الجمعة (٨٣٧).

(٤) رواه النسائي - كتاب الجمعة (باب التشديد في الخلف عن الجمعة).

التي يتحلى بها الرسول ﷺ أو أحد الصحابة، فعليه أن يوضح لهم أن الهدف هو أن يجعل كل منهم قدوته في السلف الصالح، وأن يحرص على أن يكون مثلهم أو قريباً منهم في صدقهم وأمانتهم وورعهم وعباداتهم إلى غير ذلك من الصفات الطيبة التي تؤهل صاحبها للدرجات العلا من الجنة.

فالمصلي لو خرج كل أسبوع بنصيحة طيبة، وحرص على العمل بها سيتجمع له بعد فترة مجموعة من الخصال الطيبة، والمعلومات الدينية التي تحسن سلوكه وتجعله مطيعاً لله ﷻ ولرسوله ﷺ.

آداب الكلام مع الغير

مخاطبة الغير لها آداب عديدة، لأنها تتعلق بحسن معاملة الآخرين ومدى احترامهم، ولنا في رسول الله ﷺ القدوة والأسوة الحسنة، فبرغم عظم قدره ومنزلته السامية، إلا أن معاملته لأصحابه كانت نموذجاً طيباً بمساواته بهم وعدم التعالي عليهم في أقواله وأفعاله، حتى أن من كان يعمل لديه، كان يقول إن الرسول ﷺ لم يكن يؤنبه أو يعاتبه لأنه فعل شيئاً، أو لأنه لم يفعل شيئاً، وكان يكلم أصحابه بتؤدة، حتى قال أحدهم إنه كان يستطيع أن يحصي حروف كلمات الرسول ﷺ، التي كانت تجيب عن أسئلتهم، وتزيل ما يحيرهم، وتفهمهم ما غاب عنهم، وكان يتواضع مع من يقف بين يديه، ويتبسط معه في الحديث، ويخفف من هيئته على نفس المتكلم، ومن ذلك ما قاله ﷺ للأعرابي الذي أصابته رعدة، عندما رأى هيبة النبي ﷺ، وطمانته قائلاً له: "هون عليك يا أخا العرب، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد".

ونشير فيما يلي إلى بعض الصفات الطيبة التي يجب علينا أن نتخذها نبراساً لنا، وطريقة حسنة في كلامنا مع الغير.

أ- خفض الصوت:

خفض الصوت عند الكلام مع الغير، إلى الحد الذي يُسمع الغير بدون مغالاة في رفع الصوت بحيث يؤدي السامع، ولا الخفض بحيث يجد مشقة للسمع.

والله ﷻ أمر الصحابة ألا يرفعوا أصواتهم عند رسول الله ﷺ توقيراً له؛ لأنه ينافي مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها حتى لا تحبط أعمالهم، وذلك في قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾
سورة الحجرات.

ولذلك كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره ﷺ، ورفع الصوت في مجالس العلماء تشريفاً لهم؛ إذ هم ورثة الأنبياء" (١).

وقد أمر الله ﷻ الصحابة، بالصدقة قبل مناجاة الرسول ﷺ، وذلك في قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ سورة المجادلة .

وذكر القرطبي: "أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله ﷻ أن يخفف عن نبيه ﷺ، فلما قال ذلك كف كثير من الناس، فأهل الباطل انتهوا؛ لأنهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة، وشق ذلك على أهل الإيمان وامتنعوا عن النجوى؛ لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة، فخفف الله عنهم" (٢).

والآداب التي تضمنتها الآيتان السابقتان - رغم أنها بشأن الرسول ﷺ - إلا أنها تدعونا إلى الحرص عند مخاطبة العلماء وعلية القوم والوالدين وإن علوا، فيكون كلامنا لهم بأدب واحترام دون علو صوت أو لهجة اعتراض وتأفف.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٣٠٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٣٠١.

وقد جاء في القرآن الكريم من وصايا لقمان عليه السلام لابنه:

﴿وَأَعِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١١) سورة

لقمان.

وقد جاء في الجامع لأحكام القرآن عن تفسير هذه الآية: (١)

"أي انقص من صوتك؛ أي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤدي، والمراد بذلك كله التواضع؛ وقد قال عمر لمؤذن تكلف رفع الأذان بأكثر من طاقته: لقد خشيت أن ينشق مُرَيْطَاؤُك (٢)، والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه.

وفي الآية دليل على تعريف قبح رفع الصوت في المخاطبة والملاحاة (٣) بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية.

وفي الآية أيضاً: أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاوناً بهم".

من الطبيعي عندما يتكلم اثنان أن يُسمع كل منهما الآخر، حتى يستطيعا أن يتبادلا الحديث، فلا يكون الصوت منخفضاً جداً ولا سريعاً تتداخل الحروف بعضها في بعض، فلا يفهم المستمع الكلمات التي قيلت له.

والمريض قد يكون له العذر في انخفاض صوته لمرضه، بحيث لا يستطيع إسماع الغير، أما الشخص السليم فإن نبرة صوته يجب أن تكون معتدلة فلا تصل ضعفاً حتى تصل إلى الهمس، ولا تزيد عن

(١) الجامع لأحكام القرطبي ج ١٤ ص ٧١، ٧٢ مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الزهد.

(٢) المرطاء: ما بين السرة إلى العانة.

(٣) الملاحاة: الملامة والمباغضة.

الدرجة المناسبة في الارتقاء فتؤذي الناس في أسماعهم، فالواثق من نفسه يتكلم بنبرة واضحة، تدل على ثقة بالنفس وصحة في البدن وصدق في التعبير، أما من كانت نبرة صوته مرتفعة، فيجب عليه العمل على خفضها عند نصيحة الغير حتى لا يُفهم أنها تأنيب وتوبيخ، أو تؤذي المصلين أو الذاكرين الله في المسجد.

والملاحظات التي أبديناها بخصوص آداب الكلمات التي يتبادلها المتكلمون، لها أهمية فائقة، لأن الكلمة تعبير عن دخيلة النفس، وإظهار لمكنون ما يحمله القلب من إيمان وحب أو معصية وبغض، والكلمة الطيبة تنشر الود والمحبة، بخلاف الكلمة غير الطيبة أو التي تقال بطريقة قاسية، فإنها تؤدي إلى عكس ذلك.

ب- الكلام في المسجد:

المساجد بيوت الله ﷻ، وليس لجار المسجد صلاة إلا في المسجد كما أمرنا رسول الله ﷺ، والصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة، والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة، إنما الكلام بالإثم يُضاعف عقابه أيضاً في المسجد الحرام، وكذلك الكلام في المساجد وبخاصة إذا لم يكن بذكر الله أو لقضاء مصلحة من مصالح العباد، فعن عبد ربه عن ابن محبريز عن رسول الله ﷺ قال: ^(١) "الكلام في المسجد لغو إلا لمصل أو ذاك ربه أو سائل خير أو معطيه".

واختلف أهل العلم في هذا على أقوال:

الأول: أن التحدث في المسجد بما لا إثم فيه من أمور الدنيا مباح، وبهذا قالت الشافعية، والظاهرية.

(١) مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الزهد.

الثاني: أن التحدث في المسجد بما لا إثم فيه من أمور الدنيا مكروه، وهو مذهب المالكية والحنابلة.

الثالث: أن التحدث في المسجد بما لا إثم فيه من أمور الدنيا حرام وهو مذهب الحنفية وحمله بعضهم على ما إذا جلس لذلك أما ما كان عارضاً فهو مكروه. وهذا الاختلاف فيما إذا لم يفض الحديث في المسجد إلى مفسدة من تشويش على قارئ أو مصل أو عابد. وإلا فلا أظن أن هناك خلأً في تحريمه حينئذٍ لأن النبي ﷺ نهى عن رفع الصوت بالقرآن إذا ترتب عليه أذى كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله ﷺ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة في الصلاة"^(١).

والذي يظهر لي من القولين جواز التحدث بأمر الدنيا إذا كان عارضاً ولم تتخذ المساجد لذلك وذلك لما ورد من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال^(٢): كان النبي ﷺ لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم.

وذكر النووي^(٣) (تكره الخصومة في المسجد ورفع الصوت فيه ونشد الضالة، وكذا البيع والشراء، والإجارة، وغيرها من العقود...). وساق عدداً من الأحاديث منها؛ عن السائب بن يزيد ﷺ قال^(٤):

(١) رواه أحمد بن حنبل (٥٣٢٦)، وهذا النهي جاء من طرق متعددة وهو حديث صحيح كما قال الحافظ بن حجر والعراقي.

(٢) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح ج ١ ص ٤٦٤ (٦٧٠)

(٣) في المجموع المهذب ج ٢ ص ١٧٥ "المسألة الحادية عشرة".

(٤) رواه البخاري في كتاب الصلاة باب رفع الصوت في المسجد.

كنت في المسجد فحصبني^(١) رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: اذهب فأتني بهذين الرجلين فجتته بهما فقال: من أين أنتما؟ فقالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما^(٢) ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ.

وأضاف النووي:^(٣) يستحب عقد حلق العلم في المساجد وذكر المواعظ والرقائق ونحوهما والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة.

وذكر النووي أيضًا:^(٤) وتُصان المساجد أيضًا عن البيع والشراء وجميع الأشغال، لقوله ﷺ للرجل الذي دعا إلى الجمل الأحمر (أي دعا الناس للبحث عن جملته الذي فقده):^(٥)

"لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له".

ثم قال: وهذا يدل على أن ألا يعمل في المسجد غير الصلوات والأذكار وقراءة القرآن ونحوها.

وقد سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : عن مسجد يقرأ فيه القرآن والتلقين بكرة وعشية، ثم على باب المسجد شهود يكثر الكلام، ويقع التشويش على القراء، فهل يجوز أم لا؟

فأجاب: (الحمد لله. ليس لأحد أن يؤذي أهل المسجد: أهل الصلاة، أو القراءة، أو الذكر، أو الدعاء، ونحو ذلك مما بنيت المساجد له، فليس لأحد أن يفعل في المسجد، ولا على بابه أو قريباً منه ما يشوش على هؤلاء. بل قد خرج النبي ﷺ على أصحابه وهم يصلون، ويجهرون بالقراءة، فقال:

(١) أي رماني بالحصباء (الحمى الصغيرة).

(٢) أي: أوجعتكما ضرباً.

(٣) المرجع السابق المسألة الخامسة عشرة.

(٤) المرجع السابق المسألة السادسة.

(٥) رواه مسلم - كتاب المساجد - باب النهي عن نشد الضالة في المسجد، وابن ماجه

"أيها الناس! كلكم يناجي ربه، فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة" فإذا كان قد نهى المصلي أن يجهر على المصلي، فكيف بغيره؟! ومن فعل ما يشوش به على أهل المسجد، أو فعل ما يفضي إلى ذلك منع من ذلك والله أعلم. (الفتاوى ٢٢/٢٠٥)

وسئل عن الكلام في المسجد هل يجوز أم لا؟

فأجاب: (... وأما الكلام الذي يحبه الله ورسوله في المسجد فحسن، وأما المحرم فهو في المسجد أشد تحريمًا وكذلك المكروه، ويكره فيه فضول المباح) الفتاوى ٢٢/٢٠٠.

ويزداد الإثم إذا كان الكلام بصوت عال يشوش على المصلين وبخاصة إذا كانوا يصلون إحدى الصلوات المفروضة في جماعة أو النوافل، أو يقومون بقراءة القرآن الكريم أو معتكفين في المسجد لذكر الله وأداء الصلاة وتعلم ما ينفعهم من العلوم الدينية أو الدنيوية، لأخذ ثواب الاعتكاف فضلاً عما يؤديه من عبادات وطاعات.

وقد نهى الرسول ﷺ عن التثائب بصوت، وأمر بأن نحاول منعها بقدر الإمكان، فإن لم نستطع فنضع يدينا على أقراننا عند التثائب؛ إنما المنهي عنه بشدة هو خروج صوت أثناء التثائب لأنه من الشيطان فعن أبي سعيد الخدري عن أبيه، قال: (١) قال ﷺ:

"إذا تئأب أحدكم فيمسك على فيه، فإن الشيطان يدخل".

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (٢)

"إن الله يحب العطاس ويكره التثائب، فإذا تئأب أحدكم فليرده ما استطاع ولا يقل هاه هاه، فإنما ذلك الشيطان يضحك منه"

(١) رواه أبو داود باب ما جاء في التثائب - كتاب الأدب أرقام (٥٠٢٦، ٥٠٢٨).

(٢) المرجع السابق.

كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض، أو غض بها صوته^(١). وقد اتضحت أهمية ما كان يفعله الرسول ﷺ، بعد معرفة أثر عطاس المريض وما قد يسببه من انتشار العدوى من أمراض الأنفلونزا وغيرها من الأمراض.

لذلك فالتثاؤب بصوت في المسجد مكروه، لأنه يتعارض مع جلال وهيبة المسجد؛ بيت الله ﷻ.

وكذلك فرقة الأصابع بصوت مكروهة في المسجد، وهكذا أفتى العلماء.

وأشد مما سبق الجدل في المسجد، ويكفي زجرًا عن ذلك قول الرسول ﷺ "رحم الله امرأ ترك الجدل وهو محق"، وبخاصة أن الجدل قد يفضي إلى تصايح وشجار، في حضرة وحضور الرحمن، وفي بيت من بيوت الله، مما يؤدي إلى تحميل المخالف كثيرًا من الوزر.

وتتضح حكمة الرسول ﷺ، في نصيحته بمحاولة رد التثاؤب لأنها محاولة غالبًا ما تفلح في رده، أما عن التجشؤ فإنه مفيد لصاحبه لأنه يخلص المعدة من غازات، إن بقيت تسبب لصاحبها ألمًا، فإنه ﷺ لم يأمر بمقاومتها، ولكن أمر بحجبها عن المجاورين، فعن أبي عمر؛ قال: تجشأ رجل عند النبي ﷺ: فقال: ^(٢) (كُشِفَ جُشَاءُكَ عَنَّا...)

يتضح مما سبق أن المساجد للصلاة ولذكر الله ونحوه، وبياح الكلام في المباحات وما فيه مصالح العباد، بصوت هادئ لا يشوش على من في المسجد، أما الكلام بصوت عالٍ أو فيما ليس بطاعة لله فهو - على الأقل - مكروه، أما الكلام المحرم فهو حرام.

(١) المرجع السابق - كتاب الأدب ما جاء في العطاس (٥٠٢٩).

(٢) رواه ابن ماجه - كتاب الأطعمة - باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع - (٣٢٤٩).

ج- الكلام مع الغير لنصيحته:

يأمرنا الرسول ﷺ أنه إذا رأينا منكراً فلنحاول تغييره باليد أو باللسان أو بالقلب إن لم يتيسر التغيير باليد أو باللسان وذلك في قوله ﷺ: (١) "من رأى منكم منكراً فاستطاع أن يغيره فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

وموضوعنا هو ما يتعلق بتغيير المنكر باللسان، فإن له آداباً طيبة مستقاة من الكتاب والسنة نشير إليها فيما يلي:

قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ سورة طه .

وهاتان الآيتان فيهما إرشاد طيب، لكل من يريد إسداء النصح للغير، فرغم أنهما تتكلمان عن نبيين يتوجهان إلى رأس الكفر في ذلك الحين، إلا أن الله أمرهما بأن ينصحا باللين، حتى يكون ذلك أدمى للتأثير فيه والاستجابة لهما، وهذا يدعو كل ناصح عندما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون ذلك باللين من القول وبخاصة إذا كان المنصوح معه القوة والسلطة، لأن النصح بغلظة وبشدة وتوجيه كلمات مسيئة للمنصوح، غالباً ما يؤدي إلى عكس المطلوب، وإلى إصابة الناصح بالأذى والضرر، وحرمان باقي الناس من صحبته والاستفادة منه.

وليحرص الناصح أن تكون نصيحته في السر، فلا يوجه اللوم إلى الشخص الآخر أمام جمع من الناس، بل تكون النصيحة فيما بينهما، حتى لا يشعر المنصوح بالحرج أو يحاول أن يدافع عن

(١) رواه ابن ماجه - كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٠١٣).

نفسه أمام الحاضرين، فتفقد النصيحة مداها وقوتها، وينقلب الأمر إلى مجادلة يدافع كل منهما عن وجهة نظره، دون الوصول إلى نتيجة مفيدة للطرفين.

وقد وردت آيات عديدة في القرآن الكريم تدعو الإنسان إلى مجادلة الغير بالحسنى ونصحهم بأدب وبطريقة تجعلهم أقرب إلى قبول وجهة النظر الأخرى، منها قوله تعالى:

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ سورة الإسراء.

جاء في الجامع لأحكام القرآن: (١)

قيل: إن الآية نزلت في عمر بن الخطاب، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه، وسبه عمر وهم بقتله، فكادت تثير فتنة فأنزل الله تعالى هذه الآية ذكره الثعلبي والماوردي وابن عطية والواحدي. وقيل معناها:

١- وقل لعبادي المؤمنين إذا جادلوا الكفار في التوحيد، أن يقولوا الكلمة التي هي أحسن كما قال: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ سورة الأنعام / ١٠٨.

٢- قل لهم يأمرؤا بما أمر الله به وينهوا عما نهى الله عنه، وعلى هذا تكون الآية عامة في المؤمن والكافر، أي قل للجميع.

٣- وقيل: أمر الله تعالى في هذه الآية المؤمنين فيما بينهم خاصة، بحسن الأدب وإلانة القول، وخفض الجناح وإطراح نزعات الشيطان؛ وقد قال ﷺ (٢) " عن أبي هريرة رضي الله عنه:"

(١) جـ ١٠ ص ٢٧٧.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الأدب باب ما ينهي عن التحاسد والتدابير (٥٦٠٤).

(إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً).

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في حلمه وحسن خلقه عند معاملته للغير، حتى أن أنس بن مالك الذي كان يخدم النبي ﷺ، يروي العديد من الروايات التي تؤكد ذلك، منها قوله:

كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ قال: فخرجت، حتى أمرت على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قابض بقفائي من ورائي فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: "يا أنس، اذهب حيث أمرتك" قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله، قال أنس: والله لقد خدمته سبع سنين أو تسع سنين، ما علمت قال لشيء صنعت لم فعلت كذا وكذا، ولا لشيء تركت: هلا فعلت كذا وكذا.^(١)

وروى أن خالد بن الوليد عندما قتل رجلاً في الحرب رغم أنه نطق بالشهادتين غضب النبي ﷺ وقال له: هل شققت عن قلبه ثم قال ﷺ "إن في سيف خالد لنزقا" ليمنع خالدًا عن التسرع في مثل هذا الأمر ولكنه لم يصفه بهذه الصفة، وإنما نسبها إلى السيف، الذي لا يتحرك بالطبع إلا بيد خالد وقوته.

د- مخاطبة الناس بوجه حسن:

قال تعالى في سورة البقرة الآية ٨٣: ﴿... وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...﴾
فهذه الآية تدعو الإنسان إلى "أن يكون قوله للناس ليناً ووجهه منبسّطاً طلقاً مع البر والفاجر والسني والمبتدع، من غير مدهانة، ومن

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب رقمي ٤٧٧٣، ٤٧٧٤ باب في اللحم وأخلاق الرسول ﷺ.

غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه" (١).

عن جابر بن سليم عن النبي ﷺ:

"... ولا تحقرن شيئاً من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت

منبسط إليه بوجهك، فإن ذلك من المعروف" (٢).

فالكلام الحسن مع الناس يدعو للمحبة، والألفة، أما غير ذلك فيوغر الصدور، ويؤدي إلى الجفوة بين الناس.

وتكرر الأمر في القرآن للناس بالحرص على القول السديد، والقول المعروف وذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ سورة النساء / ٥، ٨.

- ﴿فَلْيَسْتَقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ سورة النساء .

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ سورة الأحزاب.

وينصحن الرسول ﷺ بالرفق بالناس صغاراً وكباراً، بل والرفق في كافة معاملاتنا، ويتجلى ذلك في نصيحته للسيدة عائشة قائلاً لها: (٣)

"يا عائشة ارفقي، فإن الرفق لم يكن في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء قط إلا شانته".

ومما يدل على أهمية مقابلة الناس بوجه حسن، أن الطفل إذا تبسمت في وجهه، تجده يبتسم، حتى لو تكلمت بكلمات غير حسنة لا يفهمها، وبالعكس إذا تكلمت بكلمات فيها مديح له وشعور طيب، لكن

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص ٤١١.

(٢) رواه أبو داود (٤٠٨٤) وقال الألباني (٧٧٠ / ٢) صحيح، والترمذي (٢٧٢٢)، وأحمد (٦٣ / ٥).

(٣) رواه أبو داود كتاب الجهاد - باب ما جاء في الهجرة (٢٤٧٧).

بتقطيب الجبين وعبوس الوجه وتحديق العينين، فإنه قد يبكي، لأنه لن يفهم ما يقال له، وستنتابه حالة من عدم الراحة والضييق، للملامح الغاضبة التي رآها.

هناك أمر آخر قد يبدو بعيداً عن الكلام أو مخاطبة الناس بوجه حسن هو "السواك" الذي أمر به الرسول ﷺ منها: (١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال رسول الله ﷺ:

"لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة".

عن أبي أمامة؛ أن رسول الله ﷺ قال:

"تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب. ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك. حتى لقد خشيت أن يفرض علي وعلى أمتي، ولولا أنني أخاف أن أشق على أمتي لفرضته لهم. وإنني لأستاك حتى لقد خشيت أن أحفي مقادم (٢) فمي".

فالمضمضة للفم تخلصه من بقايا الطعام وتحافظ على سلامته، والسواك يحافظ على نظافة وطهارة الفم والأسنان، ويجعل رائحة الفم طيبة، فعندما يتكلم الإنسان مع آخر ويتسامر معه، فإن الرائحة الطيبة تجعل الحديث متصلاً بدون نفور، أما إذا كانت الرائحة غير الطيبة تخرج مع الكلام، تجعل الطرف الآخر يبتعد مع عدم التركيز في الحوار الذي يتم بين الطرفين.

(١) رواها ابن ماجه ج١ ص١٠٥، ١٠٦ وعن السواك وفضله وأهميته وردت أحاديث كثيرة في البخاري (في الجمعة والوضوء باب السواك، ومسلم والنسائي وأبو داود في باب الطهارة وأحمد ج١ ص٤٧ وما بعدها، والدارمي ج١ ص١٧٤.

(٢) مقادم الفم: هي الأسنان المتقدمة وقيل المراد اللثة وهي ما حول الأسنان من اللحم.

هـ - الكلام مع الأبناء ونصيحتهم:

مخاطبة الأبناء تحتاج إلى كياسة وحسن منطوق، حتى يعتادوا على هذه الطريقة في مخاطبة الوالدين وغيرهم من الأقارب والأصدقاء وغيرهم، إنما عند ارتكاب الأبناء خطأ ما، أو عدم سماعهم توجيهات الوالدين أو عدم الانصياع لأوامرهما، فلإن الأمر يحتاج إلى شدة في المعاملة والتوجيه والتأديب، لكن دون مغالاة أو ضرب بشدة، الذي قد يتسبب في إلحاق الضرر بالولد، ويكون التأديب مقترناً بحدوث الخطأ، حتى يعرف الطفل سبب انفعال الوالدين وغضبهما، أما انتظار النصيحة أو الجزاء بعد وقت طويل، أو لليوم التالي مثلاً، فإنه لن يؤدي النتيجة المرجوة، للتأثير على الطفل، للامتناع عن ارتكاب أعمال مخالفة لأوامر الوالدين.

ويجب أن يحرص الوالدان على عدم الإكثار من توجيه اللوم بكلام كثير مكرر واستمرار التأنيب للطفل طوال اليوم وألا يكون ذلك هو الطريقة المعتادة في التعامل معه، وبخاصة إذا كان الاعتراض على بعض الألعاب أو اللهو البريء الذي يناسب سنهم، ويستمتعون به؛ لأن هذه الطريقة ستعطي انطباعاً للطفل، بعدم التقدير لطفولتهم واختلافهم عن الكبار في اهتماماتهم وما يحبون أن يقضوا فيه أوقاتهم.

ويجب أن يقابل الحرص على حسن التأديب، الرغبة أيضاً في إسعاد الطفل واللعب معه أحيانا وملاطفته، لأنه يحتاج أيضاً إلى ذلك كثيراً.

ويدعونا الرسول ﷺ للدعاء للأبناء ليهبهم الله من خيري الدنيا والآخرة، وينهى عن الدعاء عليهم، فعن جابر رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ:

"لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على

خدمكم ولا تدعوا على أموالكم، لا تُوافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجاب لكم" (١).

كما يجب على الوالدين عدم العنف مع الطفل، ووصفه - مثلاً - عندما يخطئ - بأنه مثلاً: عبيط أو أهبلى، أو تفكيره غير سليم، أو غير مؤدب أو مجرم أو شرير أو غير ذلك من الصفات غير المستحبة، لأن كثرة توجيه هذه الصفات وتكرارها على مدار اليوم، يؤثر تأثيراً سلبياً في الطفل، وقد يفتن أنه فعلاً يتصف بالصفات التي يتم اتهامه بها، ويتصرف كأنه من أهلها.

و- الكلام بين الزوجين:

الزوجان هما نواة الأسرة وعمادها، والأسرة هي نواة المجتمع، فإذا صلحت الأسرة، وسادها الوثام، انصلح حال المجتمع.

والعلاقة بين الزوجين يجب أن تسودها المودة والرحمة لقوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ (٦١)

سورة الروم.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾

سورة الأعراف/ ١٨٩.

﴿ هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ ﴾ سورة البقرة/ ١٨٧.

وستتكم باختصار عن حقوق الزوجين، لأنها لها علاقة وطيدة بحسن المخاطبة والكلام بينهما، لأنه من غير المتصور تجاهل أحدهما لواجباته والاستمرار على ذلك ثم يُطالب الطرف المهضوم حقه بحسن

(١) رواه مسلم وأبو داود.

مخاطبته، وعدم التقصير في حقوقه.

وسنتكلم أولاً عن حقوق الزوجة، باعتبار أن الزوج هو الطرف الإيجابي الذي يبدأ الخطوة الأولى - غالباً - وتتعدد التزاماته، باعتباره المسئول الأول عن النفقة والرعاية وحسن إدارة العلاقات والمعاملات داخل الأسرة، ونشير إلى هذه الحقوق فيما يلي:

أولاً: حقوق الزوجة:

١- المهر: المهر يستحق للزوجة لقوله تعالى:

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ سورة النساء/ ٤.

﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ سورة

النساء/ ٢٥.

٢- النفقة: قال تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ سورة النساء/ ٣٤.

فنفقة الزوجة حق لها على زوجها، وفقاً لمقدرته المالية، فيجب ألا ييخل عليها بما تحتاجه من مأكّل وملبس، وفقاً للقاعدة الكلية التي وردت في قوله تعالى:

﴿عَلَى التَّوَسُّعِ قَدْرُهُ وَعَلَى التَّقْدِيرِ قَدْرُهُ مَتَعَاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة البقرة/ ٢٢٦.

٣- عدم الظلم:

أ- عدم الإعراض عن إشباع غريزة الزوجة بدون أي عذر شرعي لمرض أو سفر وفي الحالة الأولى يحرص على العلاج ويداوم عليه وفي الحالة الثانية ألا يطيل السفر بقدر الإمكان.

ب- يجب على الزوج حسن معاملة زوجته وبخاصة أمام الغير، فلا يسيء إليها أو يقلل من شأنها أو يخاطبها بأسلوب فيه شدة أو زجر أمامهم فلا يقسو عليها باليد أو باللسان بلا أي سبب مشروع، ولا يهددها بالطلاق لمجرد خلافات بسيطة، لأن ذلك يؤديها.

ج- ألا يأخذ من أموالها إلا برضاها وموافقتها بدون إخراج أو تهديد.

د- أن ينفق عليها في المأكل والملبس وغير ذلك من الاحتياجات المعيشية وأن يطعمها مما أكل، فلا يحرمها من الخيرات التي يتنعم بها، مصداقاً لقول الرسول ﷺ عندما سأله أحد الصحابة عن حقوق الزوجة^(١): (أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت).

هـ - أن يشاركها في تربية الأولاد التربية الحسنة، ليشبوا متعلمين مؤدبين، يعرفون شئون دينهم ودنياهم.

ثانياً: حقوق الرجل:

١- محافظة الزوجة على كل ما يخص الزوج، حفظ نطقته وكرامته وشرفه وماله وأسراره.

قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ سورة النساء/ ٣٤.

٢- طاعة الزوج، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ النَّسَاءِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ (خَيْرُ النَّسَاءِ مَنْ تَسَرَّ إِذَا نَظَرَ، وَتَطِيعَ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تَخَالَفَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا، حَفِظَتْكَ فِي مَالِكَ وَنَفْسِهَا)^(٢).

والطاعة طبعاً فيما ليس بمعصية لله ﷻ، فإن كان الأمر بمعصية

(١) رواه أبو داود - كتاب النكاح- باب في حق المرأة على زوجها (٢١٤٢).

(٢) فهرس مستدرک الحاكم - كتاب النكاح (٢٦٨٢).

كترك الصلاة، أو الحجاب الشرعي أو شرب الخمر، فيجب عليها عدم إطاعة هذه الأوامر.

٣- مساعدته في مواجهة أعباء الحياة، والتخفيف عنه فيما قد يعتريه من مشاكل، وتهيئ له المناخ المناسب لينشط في عمله وأمور حياته، ولا تطالبه بما لا يطيق، وتختار الوقت المناسب لمطالبته بالاحتياجات الأسرية.

قد أكون أطلت قليلاً في الكلام عن حقوق الزوجين، رغم أن موضوعنا يبدو بعيداً عن ذلك، ولكن أؤكد أن كثيراً من المجادلة غير الحسنة بين الزوجين أو الخلافات وما يتبعها من شجار ونقاش وكثير من الكلام غير المناسب بين الزوجين، غالباً ما يكون سببه، تجاهل أحد الطرفين لحقوق الآخر، مما يدعو الطرف المُساء إليه، بالرد بكلام أو أسلوب غير ودي، أو يتجاهل هو أيضاً بعض حقوق الطرف الآخر، مما ينتج عنه تصاعد الخلافات بينهما.

فالكلام بين الزوجين يجب أن يكون بالحسنى، فيه مودة ورحمة، لمواجهة كافة ما يواجههما من أمور حياتهما اليومية، وأن يكف كل منهما عن كثرة توجيه اللوم إلى الطرف الآخر، واتهامه بالخطأ، إنما يجب التماس العذر فيما قد يصدر منه من أخطاء أو تأخير في تنفيذ ما يُكلف به، فأسلوب المخاطبة الطيب غالباً ما يساعد الطرف الآخر على الاستجابة للطلب، أما الأسلوب الذي يتضمن أمراً أو بنبرة عالية أو أمام الغير، قد يؤدي إلى عكس النتيجة المطلوبة.

واستشهد بحديث عن رسول الله ﷺ، يصح الاستشهاد به للدعوة إلى حسن التعامل بين الناس بصفة عامة، وندعو الناس إلى العمل به بين المرء وزوجه، فقد ورد عن المقدم بن معد يكرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

"إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحُبه"^(١).

فحسن المخاطبة بين الزوجين، يساعد على أن يسود الوثام والمودة بين أفراد الأسرة، ولا يقضي إلى كثرة الخلافات في المجتمع، التي قد تصل إلى الجهات الرسمية أو القضائية، مما يشغلها ويضيع أوقاتها في حل هذه الخلافات، التي قد يطول أمدها سنوات طويلة.

(١) رواه أبو داود (٥١٢٤) واللفظ له، والترمذي (٢٣٩٣)، قال الألباني في سلسلة الصحيحة (٧٠٢/١): صحيح.

القراءة وأهمية الكلمة

- أول كلمة نزلت في القرآن الكريم هي "اقرأ"، فهي أمر بتعلم القراءة لأن بها يتعلم الإنسان علوم الأولين والآخرين، والكتابة عين من العيون بها يبصر الشاهد الغائب، والخط هو آثار يده، وفي ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان، فهو أبلغ من اللسان، لأن الإنسان قد يخجل من التعبير عن شعور معين، أو تمنعه عوامل خارجية عن حسن التعبير عما يريد إبداءه، أو قد لا يتيسر الوصول للشخص لإبلاغه عما يريد، فالكتابة تسمح بكل ذلك.

- ولا يستطيع الإنسان الكتابة إلا بعد قراءة الحروف وتعلمها، ثم يبدأ في قراءة العلوم المختلفة، لتتسع مداركه، وتزداد معرفته.

وروى سعيد عن قتادة قال: (١)

"القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يُقم دين، ولم يصلح عيش. فدل على كمال كرمه ﷺ بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو. وما دُونت العلوم ولا قُيدت الحُكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كُتِبُ الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا".

تصرفات الإنسان إما قول أو فعل، وأدنى درجات الفعل الإشارة، ويكشف لنا الله ﷻ عن أهمية الكلمة في إنفاذ إرادته، فمجرد إطلاق كلمة "كن" للشيء المراد تحقيقه، فإنه يتحقق وفق مشيئة الله، لذلك

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ١٢٠.

على الإنسان أن يحرص على سماع الكلم الطيب، وتجنب خلاف ذلك من اللغو وفاحش القول، لأن الكلمة الطيبة لها تأثير طيب على الأذن وتتلقاها النفس وتؤثر فيها مما يحركها نحو الخير أو على الأقل تشعرها بالراحة والسرور، أما الكلمة الخبيثة فإن تأثيرها يتنوع حسب نوعيتها: نفاق أو تحريض على الشر بارتكاب خيانة أو جريمة أو معصية، أو تزيين الباطل أو إضاعة الوقت فيما لا فائدة منه إلى غير ذلك من الأمور غير المفيدة، بل إنها تورد صاحبها موارد الهلاك والفساد والضياع.

كلمات الرسول ﷺ، التي تم تسجيلها في كتب الصحاح، تنبئ عن نوعية عالية القدر من البشر، لا يستطيع محاكاتها تمامًا أي منهم، وتؤكد فضله العظيم ومعونة الله له، لتبليغ الرسالة وليكون قدوة حسنة لجميع المسلمين الذين يطمعون في الفوز بالدرجات العلا من الجنة.

أهمية الصلاة والدعاء إلى الله

الصلاة هي أول ما أوجبه الله على المسلم بعد الشهادتين، وهي من الخمس التي بني عليها الإسلام، وهي تتطلب قراءة آيات من القرآن عند الوقوف ثم تسبيح الله تعالى في الركوع والسجود، وهي في جوهرها تأكيد للصلة بالله ﷻ رب العالمين.

والصلاة مناجاة لله وحمده وشكره وتنزيهه عما لا يليق به، والدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم، والدعاء في الصلاة مطلوب وبخاصة في السجود، كما أن الدعاء في أوقات معينة وأماكن معينة أخرى للاستجابة وكذلك بما ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية.

فالدعاء كلمات يتوجه بها الداعي إلى ربه ﷻ، وقد دلنا الرسول ﷺ على مواطن كثيرة يستجاب فيها الدعاء، منها: وقت السحر وليلة القدر، وبعد الصلاة، ووقت نزول المطر، وأثناء الصيام وعند الإفطار، وبعد ختام القرآن، وبين الأذان والإقامة، ويوم عرفة.

ومن آداب الدعاء استقبال القبلة، ورفع اليدين بحيث يرى بياض الإبطين، ومسح الوجه بهما بعد الدعاء، وخفض الصوت بين المخافة والجهر وترك التكلف في السجع، والدعاء بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، والتضرع والخشوع أثناء الدعاء، والإلحاح في الدعاء، والبدء بالبسملة والصلاة على النبي ﷺ: كما يجب الحرص على التوبة ورد المظالم قبل الدعاء، وحضور القلب.

فالدعاء كلمات يتذلل بها الداعي إلى الله ﷻ ليستجيب لدعائه، وكلما تحققت شروط الدعاء كانت الإجابة سريعة بإذن الله تعالى،

وصدق رسول الله ﷺ: "لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر" (١)

ومن الآداب الهامة في الدعاء أن يعزم الداعي المسألة، فلا يقول اللهم حقق لي هذا الشيء إن شئت، فقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك، فقد ورد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (٢)

"لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له"، وفي رواية لمسلم: "ولكن ليعزم وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه".

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (٣)

"إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له".

وقد رأى البعض عدم الدعاء على الظالم إنما الدعاء بكف ظلمه والنجاة منه، ورأى آخرون إباحة ذلك على التفصيل التالي بمناسبة تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ سورة النساء/ ١٤٨.

والمعنى المستفاد من هذه الآية هو أن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم فلا يكره له الجهر به، وقد اختلف في كيفية الجهر بالسوء وهو المباح من ذلك فقليل: (٤)

(١) الدعاء والصلاة مخاطبة لله ﷻ - وقراءة القرآن. مخاطبة الله للقارئ - رواه الترمذي - أبواب القدر - باب لا يرد القدر إلا الدعاء (٢٢٢٥).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي ج٦ ص٢، ٤.

١- الرجل يظلم الرجل فلا يدعو عليه ولكن ليقل: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج حقي، اللهم حل بينه وبين ما يريد من ظلمي، يؤيد ذلك ما رواه أبو داود عن عائشة قالت: سُرق لها شيء فجعلت تدعو عليه؛ فقال رسول الله ﷺ: "لا تسبخي عنه" أي لا تخففي عنه العقوبة بدعائك عليه.

٢- وقال ابن عباس وغيره؛ المباح لمن ظلم أن يدعو على من ظلمه، وإن صَبَرَ فهو خير له، فهذا إطلاق في نوع الدعاء على الظالم.

٣- وقيل: إن من أكره على أن يجهر بسوء من القول كفرٍ أو نحوه فذلك مباح.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: "تكفه عن الظلم" وفي رواية "تأخذ فوق يديه"^(١).

(١) صحيح البخاري كتاب المظالم والغصب - باب عن أخاك ظالماً أو مظلوماً (٢٦٦٤).

النية قبل الكلام والأفعال

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" (١).

فهذا الحديث وغيره كثير، تؤكد أهمية النية قبل الكلام أو الفعل الطيب، فمن يلقي كلمة دينية على حشد من الناس ليعظهم وليأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر مثلاً، عليه أن يبيت النية عليه أن كلامه لهم يقصد به وجه الله ﷻ ليعمل على هدايتهم ونصحهم، ولا يقصد من ذلك علواً أو تكبراً عليهم، أو خديعتهم بتقديم نصائح مغلوطة إليهم، أو الفتوى لهم بما يخالف ما اتفق عليه الفقهاء أو غالبيتهم.

فالمتكلم إن كان حسن النية سليم الطوية، وأخطأ في اجتهاده فله أجره وثواب اجتهاده عند الله، أما إن أصاب فله أجران كما علمنا رسول الله ﷺ.

أما إن كانت نية المتكلم في البداية الترويج لفكرة خاطئة، أو إقناعهم بأمر من الأمور نهى عنها الشرع الحنيف، أو تضييع أوقاتهم فيما يضر ولا ينفع، فإنه حينئذ محاسب على خطئه، مجازى عن تعمد الضرر بالمتكلم إليهم.

فيجب أن تكون أعمالنا خالصة لوجه الله ﷻ، وعندما يتحقق ذلك سيكون كلامنا وأفعالنا، متوافقة مع أوامر الله ﷻ ورسوله الكريم ﷺ، ونفوز في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى.

(١) متفق عليه، رواه الصحیحان.

ذم اللغو في الكلام

ذم الله ﷻ اللغو في آيات قرآنية عديدة منها قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ سورة

فصلت / ٢٦ .

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ سورة

الفرقان / ٧٢ .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ سورة القصص / ٥٥ .

﴿ يَسْتَرْعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴾ سورة الطور / ٢٣ .

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ سورة

مريم / ٦٢ .

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ سورة

الواقعة / ٢٥، ٢٦ .

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴾ سورة النبا / ٣٥ .

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيْفًا ﴾ سورة الغاشية / ١٠، ١١ .

معنى " اللغو " لغة: (١)

اللغو: ما لا يعتد به لقلته أو لخروجه على غير جهة الاعتماد من

فاعله وقيل فيه أيضًا:

- اليمين التي يحلفها الإنسان ساهيًا أو ناسيًا.

(١) لسان العرب ج ٥ ص ٤٠٥٠ .

- اليمين في المعصية أو الغضب أو المرء أو الهزل.

وقيل إن اللغو له ثلاثة معان: (١)

أ- اللغو من الكلام: ما لا يعتد به لعدم صدوره عن روية وتدبر. وقد يسمى كل كلام قبيح لغوًا.

ب- يطلق اللغو على ما لا يعتد به ولا جدوى فيه من قول أو عمل كاللعب.

ج- اللغو في الأيمان من أنواع اللغو بمعناه العام، هو انتفاء القصد الصريح أو النية الصادقة عند اليمين، بحيث يصدر عن المرء صدورًا عاديًا في أثناء حديثه المتصل دون عزم أو نية.

وقد ذم الله ﷻ اللغو في آيات قرآنية، وبلغ الذم مداه للكافرين الذين حاولوا اللغو عند سماع القرآن من الرسول ﷺ ليتشوش على القارئ، "وكان المشركون يأتون عند قراءة الرسول بالمكاء (٢) والصياح وإنشاد الشعر والأراجيز ليشوشوا عليه".

معنى اللغو من الناحية الشرعية:

جاء في التفسير الكبير للفخر الرازي أن اللغو فيه أقوال: (٣)

أحدها: إنه يدخل فيه كل ما كان حرامًا أو مكروهًا أو كان مباحًا ولكن لا يكون بالمرء إليه ضرورة وحاجة.

وثانيها: إنه عبارة عن كل ما كان حرامًا فقط، وهذا التفسير أخص من الأول.

وثالثها: إنه عبارة عن المعصية في القول والكلام خاصة، وهذا أخص من الثاني.

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ج٢ ص ٥٧٩.

(٢) المكاء: الصفير.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٣ ص ٧٩.

ورابعها: إنه المباح الذي لا حاجة إليه. واحتج القائل بقوله تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ فكيف يحمل ذلك على المعاصي

التي لا بد فيها من المؤاخظة.

واحتج الأولون بأن اللغو إنما سمي لغوًا بما أنه يلغى وكل ما يقتضى الدين إلغائه كان أولى باسم اللغو، فوجب أن يكون كل حرام لغوًا. ثم إن اللغو قد يكون كفرًا لقوله:

﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِ فِيهِ﴾ وقد يكون كذبًا لقوله ﴿لَا تَسْمَعُ

فِيهَا لَغِيَةً﴾

وقوله ﴿لَا تَسْمَعُونَ فِيهَا لِقْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾ ثم إنه ﷺ مدح المعرض عن

اللغو، وهذا يقتضى ألا يفعله ولا يرضى به ولا يخالط من يأتيه، وعلى هذا الوجه قال تعالى ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ واعلم أنه ﷺ لما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو، ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس الذين هما قاعدتا بناء التكليف).

يتضح مما سبق النهي عن اللغو في الكلام وبخاصة إذا كان الكلام في الحرام أو المكروه، أما إذا كان مباحًا، فالإسراف فيه وتضييع الوقت في الدردشة التي لا طائل منها ولا نفع فيها، فإنه تضييع للوقت، وإهدار لعمر الإنسان الذي هو أثمن شيء يجب أن يحافظ عليه الإنسان؛ لأنه ورد في السنة النبوية أن الإنسان سيندم على كل ساعة مرت عليه، دون أن يذكر الله ﷻ.

أمور جامعة

سبق أن تكلمنا عن أمور محددة، وأهمية كلمات معينة لها فضلها الكبير، وآداب الكلام مع الغير عند مخاطبتهم، وبقيت أمور دلنا عليها الرسول ﷺ وحثرنا من الكلام بها، للتغليظ على خطئها وفحشها، وأمرنا باجتنابها، نشير إليها بإجمال فيما يلي:

١- النهي عن الحلف بغير الله:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (١)

"إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله، أو ليصمت"

وفي رواية "أو ليسكت".

٢- النهي عن الحلف كذباً:

عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (٢)

"من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرّم عليه الجنة"

قال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: "وإن كان قضيباً من أراك".

٣- النهي عن سب الحمى أو الريح أو الديك:

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ فَقَالَ: (١)
"مَالِكُ يَا أُمَّ السَّائِبِ تَزْفُزِفِينَ؟ قَالَتْ الْحَمَى لَا بَارِكَ اللهُ فِيهَا فَقَالَ:
"لَا تَسْبِي الْحَمَى فَإِنَّهَا تُذْهَبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهَبُ الْكَبِيرُ
خَبَثَ الْحَدِيدِ".

وعن أبي المنذر أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"لَا تَسْبُوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا
نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أَمَرْتَ بِهِ،
وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أَمَرْتَ بِهِ" (٢).

عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"لَا تَسْبُوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوَقِّظُ لِلصَّلَاةِ" (٣).

٤- تحريم قول المسلم: يا كافر:

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (٤)
"إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كَانَ
كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعْتَ عَلَيْهِ"

٥- النهي عن الفحش وبذاء اللسان:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (٥)

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه الترمذي وقال حديث حسن

"ليس المؤمن بالطعان^(١) ولا اللعان^(٢) ولا الفاحش^(٣) ولا البذيء"

٦- النهي عن كثرة الكلام بدون داع:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"إن من أحبكم إليّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ، وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون^(٤) والمتشدقون^(٥) والمتفيهقون^(٦)".

٧- النهي عن وصف محاسن المرأة لرجل إلا لغرض شرعي:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:^(٧)

"لا تباشر المرأة المرأة فتصِفها لزوجها كأنه ينظر إليها".

٨- الدعاء لمن أسدى معروفًا:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

"من استعاذ بالله فأعيزوه، ومن سأل الله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه"^(٨).

(١) عياب في الإنسان ذو لمزة.

(٢) كثير اللعن.

(٣) القول السيء.

(٤) كثيرو الكلام.

(٥) المتطاولون على الناس بكلامهم.

(٦) الابتلاء بحروف الكلام والتوسع فيه تكبيرًا وإظهارًا للقضية على غيره.

(٧) متفق عليه.

(٨) رواه أبو داود والنسائي.

كلمة ختامية

يجب أن يحذر المسلم قبل أن يتكلم أية كلمة من أن تكون هذه الكلمة التي صدرت منه ليحاسب عنها حساباً عسيراً، باعتبارها معصية نهى الله ﷻ عنها، فتكون مثلاً غيبة أو نميمة أو وقية بين طرفين أو شهادة زور، أو نصيحة خطأ مقصودة، أو استهزاء بالآخرين أو عدم حسن تخاطب مع الآباء والأمهات وإن علوا، أو رفع الصوت بما يترتب عليه إيذاء الجيران أو المصلين بالمسجد، إلى غير ذلك من الكلام أو المخاطبات الخاطئة التي تضر بالآخرين.

وليعلم كل إنسان أنه مسئول عن كل ما يصدر منه من أخطاء وتصرفات، مصداقاً لقول الرسول ﷺ: (١)

"لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه".

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال (٢): لا تزولُ قدم ابن آدم يوم القيامة من عنده حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما عَلم.

وروي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (٣)

(١) رواه الترمذي - كتاب صفة القيامة - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص (٢٤١٧).

(٢) رواه الترمذي - كتاب صفة القيامة، باب في القيامة (٢٤١٦).

(٣) المرجع السابق (٢٤١٨).

"أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع. قال رسول الله ﷺ: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقبض ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار".

وسبق أن أشرنا إلى حديث الرسول ﷺ الذي يحذر أصحابه من الكلام من سخط الله الذي لا يشعرون بعظمته وفحشه عند الله، فيهوون به في نار جهنم سبعين خريفاً.

المراجع

تفاسير القرآن الكريم:

- الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - مطبعة دار الكتب المصرية.
- التفسير الكبير - للفخر الرازي - دار الكتب العلمية - طهران - الطبعة الثانية.

كتب السنة النبوية:

- شرح صحيح البخاري - للكرماني - المطبعة المصرية.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - مكتبة القاهرة.

- صحيح مسلم - دار إحياء الكتب العربية - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

- سنن أبي داود - دار إحياء السنة النبوية - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

- سنن الترمذي - مطبعة الحلبي - تحقيق إبراهيم عطوة عوض.
- الجامع الصغير - للسيوطي - مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني.
- الأحاديث القدسية - مكتبة الدعوة الإسلامية.

- موطأ الإمام مالك - مطبعة عيسى الحلبي - تعليق محمد فؤاد عبد الباقي.

اللغة:

- مختار الصحاح - محمد الرازي - ترتيب محمود خاطر - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - للرافعي - المطبعة الأميرية
- القاهرة.
- المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية - الهيئة العامة لشئون المطابع
الأميرية.
- لسان العرب - لابن منظور - دار المعارف.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية - الهيئة المصرية
للتأليف والنشر.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي -
دار مطابع الشعب.
- كتب عامة:**
- الفلسفة والمنطق - وزارة التربية والتعليم - مطابع روزاليوسف -
٢٠٠٤م.
- حياة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - محمد يوسف الكاندهولي - دار التراث
العربي.
- حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها - طه عبد الله
العفيفي - مطابع المختار الإسلامي - ١٩٧٩م.
- حقوق الزوجين - أبو الأعلى المودودي - تعريب أحمد إدريس -
المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع - ١٩٧٩م.

المحتويات

- مقدمة ٥
- ١- أفضل الكلام ١١
- أ- القرآن الكريم ١١
- آيات قرآنية لها فوائد لا غنى عنها ١٢
- ب- الأحاديث القدسية ١٦
- ٢- لا إله إلا الله ١٨
- ٣- كلمات الرسول ﷺ ٢٠
- ٤- كلمات الصحابة والأولياء والصالحين ٢٥
- ٥- كلمات الوالدين ٢٧
- ٦- الكلمات التي تاب الله بها على آدم عليه السلام ٢٩
- ٧- الكلمة الطيبة والعمل الصالح صدقة ٣١
- ٨- الصدق في الكلام ٣٣
- ٩- الحث على أداء الشهادة والنهي عن قول الزور ٣٧
- ١٠- خطبة يوم الجمعة ٤٢
- ١١- آداب الكلام مع الغير ٤٥
- أ- خفض الصوت ٤٥
- ب- الكلام في المسجد ٤٨
- ج- الكلام مع الغير لنصيحته ٥٢
- د- مخاطبة الناس بوجه حسن ٥٦
- هـ- الكلام مع الأبناء ونصيحتهم ٥٨
- و- الكلام بين الزوجين ٥٩
- ١٢- القراءة وأهمية الكلمة ٦٤
- ١٣- أهمية الصلاة والدعاء إلى الله ٦٦
- ١٤- النية قبل الكلام والأفعال ٦٩
- ١٥- ذم اللغو في الكلام ٧٠
- ١٦- أمور جامعة ٧٣
- كلمة ختامية ٧٦